ثورات اليمنين على الحكم العثماني في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وموقف الصحافة في مصر منها.

د. عمر محمد بكر*

تمهيد: الأحوال الجغرافية والسياسية والاجتماعية لليمن حتى أوائل القرن التاسع عشر

يشغل اليمن الجزء الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية. وقد اشتمل ـ إلى جانب ما يمثله هذا الإقليم حالياً جنوبه وشماله ـ على أقاليم : عسير، الربع الخالي، ظفار وعمان. وكان يحده الحجاز ونجد شمالاً، والخليج العربي شرقا، البحر الأحمر غربا، والبحر العربي جنوبا[1] أما حدوده السياسية الحالية فهي من الشمال عسير وتتبع المملكة العربية السعودية، ومن الجنوب البحر العربي ، ومن الشرق حضرموت والخط الفاصل من وادي بيحان وبادية الجوف والممتد إلى منطقة الربع الخالي، ومن الغرب البحر الأحمر[2].

أما من الناحية التضاريسية، فيغلب على هذا الإقليم الطابع الجبلي، ويمكن تقسيمه تضاريسياً إلى أقسام ثلاثة. الأول يشمل منطقة تهامة وهى عبارة عن سهل ساحلى يمتد من "حلى بن يعقوب" شمالاً إلى "باب المندب" جنوباً. وهذه المنطقة حارة الطقس لقربها من خط الاستواء ولقلة أمطارها. ويلى تهامة شرقا المرتفعات الجبلية، وتشمل هضاب اليمن ومرتفعاته حيث توجد أعلى جبال شبه جزيرة العرب على الإطلاق. أما القسم الثالث فيشمل المنخفض الشرقي لهذه البلاد والذي يعرف بمنطقة الجوف[3].

* أستاذ مساعد بقسم التاريخ ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية العالمية. اسلام آباد.

١ ـ عبد الله بن عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١، ص٤. هذه الحدود الجغرافية لليمن استمرت خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

٢ ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، معهد الدراسات العربية، ١٩٦٣، ص٨.

٣ ـ محمد محمد سطيحة: اليمن شماله وجنوبه، القاهرة ١٩٧٢، ص ص ٧ ـ ٨ .

تأسيسا على ذلك ليس باليمن مساحات سهلية متصلة تسمح بتواجد تجمعات بشرية كبيرة، كما هو الحال في وادي النيل؛ إذ إن وديان اليمن وسهوله محدودة المساحة؛ حيث تحدها الجبال العالية والهضاب، كما تفصل بين بعضها والبعض الآخر مناطق صحراوية قاحلة؛ ومن ثم فإن الكثافة السكانية تختلف في هذا الإقليم من جهة إلى أخرى. فتزداد حيث توجد الوديان والسهول وتتوفر الأمطار والمياه الجوفية، وتقل هذه الكثافة حيث تشتد وعورة الجبال أو كلما قل اخضرار الأرض.

وقد عُرف إقليم اليمن منذ القدم "بالعربية السعيدة" Arabia Felix حيث اشتق الاسم من اليُمن والرخاء، كما أطلق عليه أيضا اليمن الخضراء أو اليمن السعيد لحسن موقعه ووفرة مياهه وكونه طريقا للقوافل التجارية[١] . أما من الناحية التاريخية، فإن التاريخ القديم لهذه المنطقة الواقعة جنوب بلاد العرب أعني اليمن فيرجعه مؤرخو اليونان والرومان القدامى إلى الألف الرابع قبل الميلاد، وقد اعتبر هؤلاء المؤرخون اليمن القديم مهداً للحضارة الإنسانية. وإذا كان الكثير من المؤرخين يعتبرون منطقة الشرق الأدنى (مصر والشام والعراق) أقدم المناطق تحضراً في العالم القديم، وأنها أم الحضارات القديمة، فإن هذه المناطق شهدت هجرات متتالية اندفعت إليها من الجنوب، وبالتحديد من اليمن القديم واتجهت صوب مصر وبلاد العراق والشام من خلال القبائل السامية التي استقرت ببلاد العراق منذ الألف الثالث ق. م. بل استمر المصريون القدامى على صلة بأهل اليمن ، نتيجة للعلاقات التجارية وكون اليمنيين همزة وصل بين إفريقيا والهند من ناحية، والعراق والشام ومصر من

---

١ ـ الجرافي: المرجع السابق صـ ٤.

ـ محمد محمد سطيحة المرجع السابق صـ ٣.

ناحية أخرى(١).

وقد تواجد اليمنيون بالحبشة وإفريقيا واستوطنوا السواحل الافريقية الشرقية خاصة في القرن السادس ق. م وأسسوا مراكز مستقلة ارتبطت بالوطن الأم(٢).

و أقدم أمة عرفها التاريخ اليمنى القديم هى أمة عاد والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم والتي عاشت "بالأحقاف" من أرض "حضرموت"، ثم نزح فريق منهم إلى العراق والشام ومصر.

وقد تناول المؤرخون العرب أمثال الهمداني وابن هشام وابن الاثير وغيرهم تاريخ تلك البلاد، كما تناولها الجغرافيون أمثال بطلميوس وبلينوس واسترابون اوقد أفاضوا في ذكر تقدم فن الزراعة والعمران وتشييد الحصون وبناء السدود وصهاريج المياه وقنوات الرى، وأسماء الآلهة التي عُبدت باليمن قديما، وملوكه وتاريخهم، مما هو مسطور في النصوص المنقوشة في "صرواح" "ومأرب" "وبراقش" وغيرها من المناطق الأثرية اليمنية التي أزيح عنها الستار من خلال رجال البعثات الكشفية التاريخية التي نقبت عن أثار تلك البقاع بهدف استقراءالتاريخ اليمنى القديم، من هؤلاء الميجرده لاجولودير الفرنسى ١٧١٢م - ١١٢٤هـ أو الدنماركي كارستن نيبور والإنجليزي إدوارد جلاذر ..، وغيرهم من الرحالة والمستكشفين الساعين لكشف النقاب عن تاريخ تلك البلاد(٣).

---

١ - أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية ١٩٥٧، ص٥١ ، عبد الله بن أحمد الثور: مختصر من تاريخ اليمن، القاهرة ١٣٩٩هـ، ص ص ٢٧ - ٢٨

٢ - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، حـ١، القاهرة صـ ٤٠٧ .

٣ - لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، طـ١، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٦٣، صـ ٧، ص ص ٩ - ٢٣، ص ص٥١ - ٥٢، محمد يحى الحداد: تاريخ اليمن السياسي، دار الهنا للطباعة ، ١٩٧٦، ص٦٢٥ .

وإذا ما تطرقنا إلى الأحوال الاجتماعية لأهل اليمن، فنجد أن القبيلة هى محور الوحدة الاجتماعية للمجتمع اليمنى، كما أن هناك اختلافات واضحة بين الطبيعة السكانية لهذه البلاد، فهناك السهليون اي سكان سهول اليمن والجبليون القابعون في جباله وهضابه . وقد أدى هذا إلى وجود تناقضات واختلافات طبيعية وسلوكية بين سكان اليمن . فالجبليون عرفوا دوماً بأنهم أحد مزاجاً وأشد تعصباً، ورفضاً للخضوع لسادة يهملون مصالحهم أو لا يبذلون لهم العطاء بسخاء. وغالباً ما كانت هذه المناطق الجبلية مأوى للمذاهب الدينية، وهذا ما يفسر لنا اعتناق قبائل المناطق الجبلية الشمالية اليمنية للمذهب الزيدي ، وكان قد سبقهم في تلك البقاع الصليحيون وهم شيعة غير زيدية، أقاموا دولة في جبال حراز شمال اليمن في القرن الحادي عشر الميلادي. أما السهليون فقد أقاموا في بقاع اليمن الصالحة للزراعة، ومارسوا مهنتى الزراعة والتجارة، وإن كانوا كالجبليين يجمعهم النظام القبلي وهو أساس ومحور النظام الاجتماعي اليمن(١).

---

١ ـ السيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن، (١٥٣٨ ـ ١٦٣٥)، ط٢ معهد الدراسات العربية، ١٩٧٤، ص ص١٠ ـ ١١ .
ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث ص ص ١١ ـ ١٤ .

سيادة المذهب الزيدي دينيا وسياسياً في اليمن:

وإذا نظرنا إلى الأوضاع الدينية والمذهبية لأهل اليمن نجد أنهم ينقسمون إلى زيدية نسبة للإمام زيد بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ويعود ظهور الشيعة الزيدية ببلاد اليمن إلى عام ٨٩٨هـ ١٤٩٢م بانتقال الإمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى من بلدة (الرسى) قرب المدينة المنورة إلى بلدة صعدة في أقصى الشمال، حيث كانت الطبيعة الجبلية لهذه المنطقة عاملا من عوامل حماية هذا المذهب الديني الجديد بعيداً عن سطوة الدول القوية التي عاصرتها آنذاك كالدولة الصليحية والدولة الأيوبية اللتين بسطتا سلطانهما على شمال اليمن. ومن ثم فقد اعتصم أئمة المذهب الزيدي الأوائل بقمم جبال صعدة وشعابها وأخذوا ينشرون مذهبهم بين قبائل هذه المناطق. كما تواجد باليمن آنذاك أتباع المذهب الشافعي، حث قطنوا السهول والهضبتين الجنوبية والوسطى من اليمن، مع وجود أقلية حنفية أيضا[١]. كما تواجد على أرض اليمن أعداد غير قليلة من الشيعة الإسماعيلية حيث أطلق عليهم "مكارمة" ، بالإضافة لأقلية يهودية سكنت أحياء خاصة بهم، وكان بيدهم معظم الحرف اليدوية[٢]. وقد لعب الزيديون دوراً هاما على مسرح الأحداث السياسية باليمن منذ ظهورهم، باعتبارهم القوة الرئيسية التي

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر:
حسين بن أحمد العرشى: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، القاهرة، ١٩٣٩، ص ص ٢٤ ـ ٢٦، ص ص ٣٢ ـ ٤٠
ـ محمد أبو زهرة: الإمام زيد: حياته وعصره، آراؤه وفقهه ، القاهرة ١٩٥٩ ص ص ١٨٨ ـ ١٩٠ ، ٤٨٨ ـ ٤٩٥ .
٢ ـ المقتطف: مجلد ٩١ ، جـ ٤، أول نوفمبر ١٩٣٧ ، ص ٤٦٢ .

واجهت الجيوش العثمانية باليمن، والتي ظلت تسيطر علي مقدرات البلاد حتى عام ١٩٦٢م ـ ١٣٨٢هـ .

وقد أولت المؤلفات اليمنية أهمية كبرى ـ من هذا المنظور ـ للمذهب الزيدي، وتحدثت عن كيفية ظهوره باليمن، وعن تاريخ الأئمة الزيديين ونشاطاتهم بتلك البلاد، وعن مبادئ الزيدية وغير ذلك[١].

والحقيقة فإن المذهب الزيدي يتميز عن سائر الفرق الشيعية الأخرى من نواح عديدة. فرغم اتفاقه مع جمهرة الشيعة في أحقية على وأبنائه من فاطمة بالإمامة فإنهم يقولون بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل والأفضل. كما أن الزيدية لا يتبرعون من أبي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ، كما يفعل بعض الشيعة بل إنهم يقولون بصحة إمامتهما، ومن هنا تبدو الزيدية أكثر الفرق الشيعية اعتدالاً وأقربها إلى السنة بوجه عام. وهناك ميزة أخرى للزيدية تميزت بها عن سائر فرق الشيعة، وهى عدم المبالغة في تقديس الإمام على بن أبي طالب، ورفعه إلى مصاف الآلهة، كما يرى الغلاة من الشيعة. فقط هم حصروا الإمامة فيَ أولاد فاطمة دون قصرها على فرع معين من أبنائها، حيث أجازوا لكل فاطمى زاهد شجاع سخى أن يكون إماما واجب الطاعة

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر:

عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليماني: تاريخ اليمن المسمى فرجه الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة ١٣٤٦هـ صـ ٢١، ص ص ٨٧ ـ ٨٨ .

ـ العرشى: المرجع السابق، ص ٣٢ .

ـ احمد حسين شرف الدين: المرجع السابق، ص ٢٠ .

سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين.[1]

وإذا كان الكثيرون ممن عالجوا تاريخ الزيدية قد أشادوا باعتدال هذا المذهب وأنه ليس مذهباً منغلقاً تأسيسا على : أنه ترك باب الاجتهاد مفتوحاً أمام أتباعه، بل لم يمانع في الأخذ من المذاهب الأخرى حتى السنية منها، ولعل هذا ما أدى إلى نمائه باستمرار واقترابه من هذه المذاهب[2]. كما أن رؤية أئمة هذا المذهب المتعلقة بصحة إمامة المفضول مع وجود الأفضل والتي اعتبرها الكثيرون خير دلالة على تحرر أتباع هذا المذهب وعن تميزهم عن سائر الفرق الشيعية، وأنهم أقروا بصحة إمامة أبي بكر وعمر - رضى الله تعالى عنهما - على اعتبار أن الأمة اختارتهما وهذا حق اجتهادي قد تكون الأمة أخطأت في اجتهادها أم أصابت . وكذلك تأكيد أئمة المذهب على أنه لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الأئمة؛ إذ أن "الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل"[3]. كما أن شروط اختيار الإمام التي جعلها الزيديون أربعة عشر شرطا كانت محل تقدير اعتبار ممن تناولوا المذهب الزيدي بالتأليف، ومع ذلك كان الكثيرين وقفوا أمام أحد هذه الشروط وقفة طويلة، وهو الشرط المتعلق بضرورة أن يكون الإمام فارساً مقداماً، وهذا

---

١ - أبو الفتح بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، طـ ١، القاهرة ١٩٠٩ ، ص ص ٢٠٧ - ٢١٠ .
- محمد عبد الله ماضي: دولة اليمن الزيدية (نشأتها - تطورها - علاقاتها، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، مايو ١٩٦٣، ص ص ٢٢ - ٢٣ .
- أمين الريحاني: ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية، جـ١، بيروت ١٩٢٤م ، ص ص ١٢٦ - ١٢٩ .

٢ - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، صـ ٤٨٨ .

٣ - الشهرستاني: المرجع السابق، ص ص ٢١١ - ٢١٦ .

الشرط الذي أدى إلى كثرة الفتن والاضطرابات بين أتباع الزيدية الذين تنافسوا فيما بينهم طمعا في الإمامة؛ إذ كان يحق لكل شجاع له بعض السيادة في عشيرته أن يخرج شاهراً سيفه مطالبا بالإمامة إذا ما شعر بقوته وضعف الإمام الموجود حتى لو كان أباه أو أخاه ، وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى الفتن وتعدد الإمامات وانقسام الزيديين على أنفسهم[١].

وباستقراء تاريخ الزيدية في اليمن يتضح أن نفوذ إمامتها امتد أكثر من ألف سنة، كان تتسع تارة ليشمل جميع أنحاء البلاد، وتارة ينحسر هذا النفوذ ليقتصر على المناطق الجبلية فحسب كمدينة صعدة وشهارة وغيرها من المناطق الجبلية الحصينة والتي كانت أهم معاقل الزيديين . كما أن ظهور المذهب الزيدي واستمراره في البلاد هذه القرون الطويلة قد أدى دون شك إلى خلق وحدة بشرية مترابطة؛ حيث لعبت هذه الرابطة الزيدية دوراً هاماً في تاريخ البلاد، وكانت هى التنظيم السياسي الوحيد الذي اصطدم به العثمانيون عند فتحهم للبلاد اليمنية، حيث ظلت الإمامة الزيدية تسعى لمواصلة جهودها لتأكيد حقها المقدس في الحكم، ومن ثم كانت الحروب الكثيرة التي خاضها هؤلاء الأئمة ضد السلطة السياسية والعسكرية العثمانية التي ظهرت على مسرح الأحداث اليمنية في محاولة لبسط هيمنتها على هذه المنطقة الحيوية الواقعة على البحر الأحمر، بعد التطورات السياسية والاقتصادية التي ألمت بمنطقة المشرق الإسلامي نتيجة الخطر البرتغالي وتحول طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح، لتدخل المنطقة كلها في مرحلة جديدة.

١ ـ أمين الريحاني: المرجع السابق صـ ١٢٨ .

ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، صـ ١٩

Helfritz, H: the Yemen, A secret Journey London , 1958, - p. 129.

الفصل الأول

العثمانيون واليمن خلال القرن التاسع عشر

أولاً: العثمانيون واليمن حتى منتصف القرن التاسع عشر:

شهدت بدايات القرن السادس عشر مستجدات سياسية كان لها آثار بالغة على الساحة السياسية لمنطقة المشرق العربي الإسلامي والشمال الإفريقي. فقد دقت أبواب هاتين المنطقتين الأطماع البرتغالية والأسبانية، حتى أوشكت هذه الأقاليم على السقوط في أيدى هاتين القوتين لولا ظهور الدولة العثمانية، تلك الدولة الإسلامية الفتية التي كانت بمثابة طوق النجاة لإنقاذهما. وكانت اليمن من المناطق التي هددتها الأخطار البرتغالية، ومن ثم كان لا بد أن تتوجه جهود السياسة العثمانية نحو هذه المنطقة الحيوية والمطلة على البحر الأحمر ومنطقة باب المندب، للحيلولة دون سقوطها في أيدى البرتغاليين. ولا غرو فقد كانت اليمن بالفعل إحدى أمنيات السلطان سليمان القانوني نظراً لأهميتها من الناحية العسكرية وموقعها الاستراتيجي المهيمن على شواطئ البحرين العربي والأحمر. وقد سعى العثمانيون لاتخاذ اليمن قاعدة أمامية لصد الغزو البرتغالي عن الحرمين الشريفين وعن الولايات العربية الخاضعة لهم، خاصة بعد فشلهم في ضرب مراكز البرتغالين في الهند، وهو ما تم لهم بفتحهم اليمن عام ١٥٣٨م - ٩٤٥هـ . وإذا كان اليمنيون قد رحبوا في بداية الأمر بمساعدة العثمانيين لهم في كفاحهم المرير مع البرتغالين، إلا أنهم سرعان ما انقلبوا عليهم عندما شعروا برغبتهم في السيطرة على مقدراتهم(١). وبالفعل لم يستقر الأمر للعثمانين سوى قرن واحد، اتسم

١ - لمزيد من التفاصيل عن فتح العثمانيون لليمن انظر:
السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص ٤٣٠ ، الجرافي المرجع السابق ص ص ٨٨ - ٩٣ ، محمد يحيى الحداد: المرجع السابق صـ ٣١٥ ومابعدها.

حكمهم خلاله بعدم الاستقرار والاصطدام بالأئمة الزيديين الذين تزعموا حركة المقاومة اليمنية ضد العثمانيين، خاصة الإمام المؤيد الذي تولى الإمامة عام ١٥٤٤م - ٩٥١هـ - واستطاع إخضاع جهات اليمن لسيادته ، كما استطاع السيطرة على الجنوب الغربي من عدن جنوبا إلى صعدة شمالاً ووصلت أحوال اليمن في عهد خلفه الإمام المتوكل إلى ذروة النجاح بعد أن استطاع إخضاع مناطق يافع وحضر موت ولحج وعدن[١]. ولم تنعم السلطة العثمانية بشيء من الراحة باليمن طيلة قرن من الزمان عانت خلاله من الثورات المستمرة والمقاومة الضارية لها حتى تحولت هذه الأرجاء لتصبح "مقبرة الأناضول"[٢]، مما دفعها في نهاية الأمر للتسليم بالأمر الواقع والخروج بقواتها من تلك البلاد الملتهبة بالثورات عام ١٦٣٥، - ١٠٤٥هـ لتصير اليمن أولى الولايات العثمانية التي استقلت عن النفوذ العثماني.

ولا شك أن هناك عوامل أخرى، بالاضافة إلى ما سبق، عجلت بخروج جيوش السلطنة العثمانية في وقت مبكر من هذه الأرجاء. وقد تمثلت تلك العوامل في الناحية البشرية والطبيعية. فطبيعة البلاد الجبلية قللت من فاعلية الجيوش العثمانية النظامية ، رغم قوتها وتفوقها في السلاح والعتاد، وذلك لوعورة هذه الجبال. حيث استغل اليمنيون معرفتهم بدروبها ومسالكها في استمرارية مقاومتهم لجيوش السلطنة . كما كان لعامل بُعْدِ اليمن عن قلب السلطنة العثمانية وصعوبة إرسال الحملات إليها أثره في إجبار العثمانيين في النهاية على التخلى عن تلك الارجاء[٣].

١ - السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، صـ ٢١ .

٢ - امين سعيد: اليمن، تاريخه السياسي، القاهرة ١٩٥٩، ص ٧ .

٣ - السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٤٣٦ .

أما عن الأوضاع البشرية، فقد كان للبيئة اليمنية أثرها في ظهور قوى بشرية ذات طبيعة خاصة، فهناك الشافعي والزيدي والإسماعيلي وهناك، السهلي والجبلي، مما أضفى وضعية خاصة على طبائع سكان تلك المنطقة.

وقد تمتع اليمنيون باستقلالهم - تحت حكم الزيديين - بعد رحيل العثمانيين لقرنين من الزمان، حفلت البلاد خلالهما بالصراعات الدامية بين المشايخ والأئمة الزيديين ، مما أدى إلى خروج العديد من القبائل والمشيخات عن الطاعة لهؤلاء الأئمة، وليكون دخول جيوش محمد على تلك الأرجاء واصطدامه بالسياسة الإنجليزية نقطة تحول أخرى في تاريخ تلك المنطقة.

وقد وصلت جيوش محمد علي باشا والي مصر إلى بلاد اليمن في العشرينيات من القرن التاسع عشر لمطاردة فلول أنصار الحركة السلفية النجدية بناء على تكليف من السلطان العثماني من ناحية، وتلبية لاستنجاد إمام صنعاء من ناحية أخرى. وعندما حققت جيوش محمد على أغراضها بهزيمة فلول أتباع الحركة السلفية النجدية، تم تسليم السلطة إلى إمام صنعاء بعد تأكيد اعترافه بالسيادة العثمانية ، لتنسحب قوات محمد علي بعد ذلك للحجاز. بيد أن الفتن التي قامت في الحجاز وما ترتب عليها من هروب المتمردين إلى اليمن، دفعت بقوات محمد علي لتعقبها ودخول تلك الأرجاء مرة أخرى(١).

---

١ - أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٣٥٣ ، فاروق عثمان اباظه: الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦، صـ ٤٥ .

وقد نجحت الإدارة المصرية في اليمن في إقامة حكم منظم في المناطق الخاضعة لها، وهيأت حالة من الأمن والاستقرار فيها. بيد أن بريطانيا تحركت بعد أن خشيت على مصالحها الاستعمارية التي صار يهددها التوسع المصري، فاندفعت لاحتلال عدن ١٨٣٩م - ١٢٥٥هـ دون أن تحرك الدولة العثمانية ساكنا، بل وجدنا مؤتمر لندن ١٨٤٠ - ١٢٥٦هـ - يفرض على محمد علي الجلاء عن اليمن، الشيء الذى دفع السلطنة العثمانية لمحاولة استعادة نفوذها في هذه الأرجاء، وتم ارسال قوات نجحت بالفعل في السيطرة على المدن الساحلية ودخول صنعاء عام ١٨٤٩م - ١٢٦٦هـ - بمساعدة الإمام الزيدي محمد بن يحيى؛ مما دعا منافسين إلى الخروج عليه معلنين أنه "قد باع اليمن وأهله" للدخلاء الترك"[١]. - فألبوا القبائل اليمنية عليه، لتندلع ثورة عارمة، ولتجتاح الجيوش العثمانية صنعاء ويتم أسر الإمام محمد بن يحيى الذي لقى حتفه على يد منافسه على بن المهدي الذي نصب نفسه إماما للزيدية، واضطر العثمانيون للانسحاب من صنعاء إلى ميناء الحديدة[٢] .

وهنا تشهد اليمن فترات اضطراب داخلية وتطلعات لها من الخارج .

---

١ - الواسعى : المرجع السابق، ص ٢٣٤ .

٢ - للمزيد من التفاصيل انظر:

سلفاتور أونتي، ترجمة طه فوزى: مملكة الإمام يحيى ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٥١ ، فاروق عثمان أباظه: المرجع السابق، ص ص ٥٠ - ٥٥ ، السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٢ .

ثانياً: أحوال اليمن السياسية حتى أواخر القرن التاسع عشر:

كانت أوبة العثمانيين لليمن مرة أخرى عام ١٨٧٢م ـ ١٢٨٩هـ بمثابة فترة حكمهم الثاني للبلاد، وجاءت تلك الأوبة وسط ظروف داخلية وخارجية شديدة التعقيد. فبالنسبة لأهالي اليمن، نجد أنهم عانوا الأمرين من الاضطرابات والتناحرات بين الائمة الزيدية ـ فيما بينهم ـ وصراعهم الدامي ـ فيما بينهم ـ على السلطة، ثم بين الزيدية والقبائل اليمنية الأخرى التي ظلت تلعب أدواراً واضحة في عدم استقرار البلاد(١). وكانت تلك الخلافات من أسباب عودة العثمانيين لليمن بعد قرابة المائتين والعشرين عاما، حيث استنجد بعض الأئمة الزيدية بهم، فلقى هذا هوىً في نفس سلطانهم ، عبد الحميد الثاني وكانت فرصة سانحة لإعادة التواجد العثماني وسيطرته على البلاد. ذلك أن التواجد العثماني بإقليم تهامة منذ عام ١٨٤٩ ـ ١٢٦٦هـ كان فرصة أتاحت للسلطنة مراقبة أحوال البلاد عن كثب، وتحين الفرصة المناسبة لاجتياحها. وقد أدى افتتاح قناة السويس ١٨٦٩م ـ ١٢٨٦هـ إلى زيادة اهتمامات السلطنة بالبحر الأحمر بعد أن صارت أهم طرق المواصلات بين الشرق والغرب، وبسواحل الجزيرة العربية المطلة عليه، خاصة الساحل اليمنى الذي صار الإنجليز يسيطرون على جزئه الجنوبي. وقد تراءى للعثمانيين بعد افتتاح قناة السويس ضرورة إعادة فرض سيطرتهم الفعلية على اليمن بعد أن ازدادت أهمية موقعه وخطورته بتحول طريق التجارة العالمية للبحر الأحمر. وقد يسرت قناة

١ ـ للمزيد من التفاصيل انظر:

ـ محمد يحيى الحداد: المرجع السابق، ص ص ٣٨٠ ـ ٣٥١ ، عبد الله بن أحمد الثور: المرجع السابق، ص ١١١ .

السويس السبيل لوصول القوات والإمدادات العثمانية إلى اليمن وتدعيم القوات العثمانية المتواجدة بتهامة لتتمكن السلطة من دخول صنعاء وإقامة حكومة عثمانية في تلك الأرجاء عام ١٨٧٢ م - ١٢٨٩هـ(١)

وإذا كانت فلسفة الحكم العثماني للولايات التابعة له قامت منذ الفتح العثماني على الحكم غير المباشر لها وعلى والسيادة الاسمية فحسب، إلا أن هذا المنظور السياسي تغير منذ القرن التاسع عشر، نتيجة لتطبيق السلطة لحركة التنظيمات والأخذ بسياسة "تقوية السلطة المركزية"، وذلك بإحكام قبضتها على ولاياتها ورعاياها ، والاستجابة للمستجدات التي طرأت على الساحة السياسية ببروز ألمانيا كقوة أوربية جديدة سعت لإيجاد مكان لها في منطقة المشرق العربي، فتحالفت مصلحياً مع السلطنة وسعت لبث روح جديدة في هذه الإمبراطورية العثمانية الآيلة للسقوط . وقد حاول العثمانيون اتباع سياسة الحكم المركزي في إدارة شئون اليمن بعد عودتهم إليه، إلا أن تلك السياسة اصطدمت بطبيعة القبائل اليمنية تلك الطبيعة التي لم تتمكن الإمامة الزيدية بسببها ورغم تاريخها الطويل من تحقيق الوحدة السياسية لليمن إلا في فترات قصيرة ومتقطعة . ومما لا شك فيه أن تلك السياسة التي حاولت السلطنة تطبيقها في اليمن كانت تحتاج إلى دولة قوية فتية قادرة على إحكام الهيمنة والسطوة على أرض بعيدة عن عاصمة السلطنة، إلى جانب طبيعتها الوعرة، وما انطبعت عليه قبائلها من شدة المراس والتمرد المستمر ورفض

---

١ - Bury, G.W. : Arabia Infelix or the Turks in Yemen, London , 1915, P. 34.

Jacole H.F: Kings of Arabia, London, 1923, p 24.

الخضوع لأية سلطة وهو ما لم يتعوده اليمنيون فاستنكروه ولفظوه(١).

ومما يجدر ذكره أن اليمن كان في أشد الحاجة إلى حكم أكثر صلاحاً وقوة لأنه إلى جانب الوضع القبلي لأهله، وضعف العثمانين العام، إلا أنه كانت تحدوهم رغبة جامحة للتدخل في شئون تلك البلاد، وكان رفض القبائل اليمنية لذلك، ليس كراهية للسلطة العثمانية ولكن رغبة في التمتع بنوع من الإستقلال الداخلي.

وقد ضاعف من سوء الأحوال بالبلاد اليمنية بعد عام ١٨٧٢م ـ ١٢٨٩هـ ـ هذا القحط والجدب الذي أصاب البلاد وتلك المجاعات التي أهلكت الآلاف من أهل اليمن، مع سوء تدبير وسياسة ولاته، الذين لم تأخذ غالبيتهم رأفة بأحوال أهله الاقتصادية السيئة، فمضوا في عتوهم واستبدادهم ليكون رد الفعل الطبيعي هو تلك الثورات التي عمت أنحاء اليمن ما تبقى من سنوات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لتكون إعلانا صريحا عن رفض اليمنيين الظلم والفساد اللذين عَمَّا البلاد، ورغبة في تحقيق قدر معقول من الاستقلال(٢).

وقد أرجعت معظم مؤلفات تلك الفترة أسباب ثورات اليمن في تلك الحقبة

---

١ ـ محمود صالح منسى: تاريخ الشرق العربي الحديث ـ دار الوزان للطباعة والنشر ١٩٩٠ ـ ص ٢١٧.

٢ ـ للمزيد عن أحوال اليمن السيئة انظر:

Jacob, H, F: op. cit, p. 73 .

ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٨ .

ـ فاروق عثمان اباظه: الحكم العثماني في اليمن، ص ص ١٢٦ ـ ١٣٣ .

ـ الواسعي: المرجع السابق: ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

إلى مظاهر فساد الإدارة العثمانية بالبلاد، وما اتسم به رجالها من صفات ذميمة كالرشوة والظلم والفساد والإفساد والقسوة البالغة مع سكان البلاد مما أوصلهم إلى مفترق الطرق مع السلطة العثمانية آنذاك، وتحولت مفاسد الإدارة العثمانية باليمن إلى الافتراق الذي لم يعد بعده التقاء مع أهالي البلاد. حيث سعت الإدارة العثمانية باليمن إلى تأليب السلطنة حتى على علماء البلاد، فنحى كثير منهم عن وظائف القضاء، ونفى غيرهم خارج مدنهم مما زكى شعور اليمنيين بالكراهية والبغض للسلطة العثمانية. وتناولت مؤلفات تلك الفترة ولاة اليمن الذين أشاعوا الفساد والظلم والإرهاب بين اليمنيين أمثال عثمان باشا الذي تولى ولاية اليمن من ١٣٠٥هـ ـ ١٣٠٧ ـ ١٨٨٧ ـ ١٨٨٩م. وكان مثالا للقسوة، وأحمد أيوب الذي عدّه الكثيرون فظا غليظا فأساء لليمنيين وعلمائهم(١).

بيد أنه إذا كان الكثيرون من المؤرخين تناولوا سوء الإدارة العثمانية باليمن في أواخر القرن التاسع عشر، وسوء سيرة العديد من ولاته باعتبارهم رموزا لهذا الفساد والسبب الرئيسى في اندلاع الثورات في العقد الأخير من ذلك القرن، إلا أنه من الإنصاف أن نذكر أنه قد وجد أيضا العديد من الولاة الذين سعوا لإصلاح الأمور ووضع حد لفساد رجال الإدارة العثمانية بالبلاد

---

١ ـ للمزيد من التفاصيل أنظر:

محمد يحيى الحداد: المرجع السابق، ص ٣٥٢ .

الواسعي: المرجع السابق، ص ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

فاروق عثمان أباظه: الحكم العثماني في اليمن، ص ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

Bury, G.W.: op. cit, p. 16 .

العرشي: المرجع السابق ص ص ٧٧ ـ ٧٨ .

والضرب على أيديهم بعنف بالغ لقطع سبل الارتشاء والظلم، مما عرضهم للمؤامرات والسعي للتخلص منهم.

ومن هؤلاء الولاة المصلحين الذين تقلدوا زمام الولاية باليمن أحمد أيوب باشا ١٢٩٠هـ ـ ١٨٧٣م الذي شيد مستشفى صنعاء، ومصطفى باشا عاصم الذي عرف بالكياسة والدهاء(١). وإسماعيل باشا حقي ١٨٧٨م ـ ١٢٩٥هـ والذي أمر بإطلاق سراح العلماء اليمنيين وسعى لرفع راية العدل ومحاربة الفساد، بل سعى لاستجلاب قلوب أهالي اليمن للسلطنة، فأنشا "المكاتب الرشدية" لتعليم أبناء البلاد(٢). وعزيز باشا الذي أجبر العساكر العثمانية عن الامتناع عن تحصيل المواد الغذائية من الأهالي بالقوة(٣). ويعد الوالي عثمان باشا نوري من الولاة الذين حظوا بتقريظ وامتداح اليمنيين حتى ذكر أن عهده كثرت فيه الخيرات وهدأت الفتن والاضطرابات ، بعد أن أجبر المأمورين العثمانيين على عدم الارتشاء. بل يذكر أنه كان يتصدق براتبه كاملا(٤)، بل لقد رأى البعض أنه لم يأت وال على اليمن مثله(٥).

كما امتدح هذا الوالي لحسن إدارته لشئون البلاد، وتواضعه على غير المألوف ممن سبقوه. كما حظى حسين باشا حلمى الذي تولى الولاية عام

---

١ ـ الجرافي: المرجع السابق صـ ٩٧ .
* وقد تولى حكم اليمن مرة أخرى عام ١٨٩٠م ـ ١٣٠٨هـ.
٢ ـ الواسعي : المرجع السابق، ص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
٣ ـ فاروق عثمان اباظة: الحكم العثماني في اليمن صـ ١٢٧ .
٤ ـ فاروق عثمان اباظة: الحكم العثماني في اليمن صـ ١٣١ .
٥ ـ الواسعى: المرجع السابق صـ ٢٦٥ .

١٩٠٠م ـ ١٣١٨هـ بتقدير أهالي اليمن لعدله وحسن سيرته وعزله من أساء التصرف من المأمورين العثمانيين تجاه أهالى البلاد(١).

وباستقراء أحوال اليمن بعد عام ١٨٧٢ ـ ١٢٨٩هـ يتضح لنا أن محاولات إصلاحه لم تأت من بعض المصلحين من ولاته فحسب، بل إن السلطنة ذاتها سعت للأخذ بيد اليمن من خلال السعى لإصلاح أحواله بالقيام ببعض المشروعات مثل إنشاء المستشفيات والمدارس وبخاصة في المناطق الأقل اضطرابا والتي كان يقطنها الشوافع. حقيقة أن هذه المشروعات لم تف بحاجات أهالي البلاد، إلا أنها كانت بمثابة محاولات إصلاحية قامت بها السلطنة رغم الظرف السيئة والحرجة التي كانت تمر بها آنذاك. ويدخل في هذا الإطار إقامة مدرسة للصنائع في صنعاء، والسعى لمد خط سكة حديد من شمالي مدينة الحديدة إلى صنعاء، إلا أن الحرب الطرابلسية ١٩١٢ ـ ١٣٣١هـ حالت دون إتمام بقية هذا الخط. كما قامت الإدارة العثمانية باليمن بمحاولة استغلال مناجمه والإعلان عن مناقصة لاستغلال تلك المناجم(٢). كل ذلك يدخل في إطار محاولات إصلاح أحوال اليمن في ظل ظروف السلطنة المتاحة آنذاك. وإذا ما تطرقنا إلى تلك الثورات التي عمت البلاد منذ أن وطئت أقدام العثمانيين تلك المناطق مرة أخرى عام ١٨٧٢ ـ ١٢٨٩هـ نتيجة للصراعات الدامية بين المتصارعين على السلطة الزيدية من ناحية، والصراعات القبلية من ناحية أخرى، وما أعقب ذلك من توحد الجميع ضد هذه السلطة المركزية الجديدة التي حلت على البلاد، فإننا نجد أن الإمام

١ ـ الجرافي : المرجع السابق: ص ٢١٤ .

٢ ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ص ٢٩ ـ ٣٠ .

الهادي قاد أولى تلك الثورات عام ١٨٧٦ ـ ١٢٩٣هـ ، والتي حفلت بمواجهات عنيفة؛ مما اضطر العثمانيين لممارسة أقصى درجات القسوة والقمع في محاولة لوضع حد للثورة والقبض بيد من حديد على ناصية الأمور وإخضاع القبائل والأئمة الزيديين في آن واحد(١). بيد أن هذه الثورات عادت وبضرارة بمجرد مبايعة الإمام الزيدي محمد بن يحيى حميد الله والملقب بالمنصور عام ١٨٩١ ـ ١٣٠٩هـ ـ والذي استطاع أن يحشد العديد من القبائل اليمنية تحت لوائه ويزحف من قاعدة الزيديين ـ صعدة ـ إلى صنعاء ذاتها وينجح من دخولها، ويرسل منها أتباعه إلى سائر أنحاء البلاد لبث الدعوة له بين كافة القبائل لمعاضدته وتأييده ضد العثمانيين(٢). بيد أن السلطة العثمانية سُرعان ما سعت لاستعادة زمام الأمور باليمن بإرسال جندها بقيادة "أحمد باشا فيضي"، والذي عُرف بالنشاط والحيوية من ناحية ، والقسوة والبطش من ناحية أخرى، وقد نجح بالفعل في استعادة صنعاء والقضاء على تلك الثورات وإجبار الإمام المنصور على الرجوع إلى معقله الأساسي بصعدة.

وإذا كان البعض قد حاول أن يرجع أسباب هذه الثورات للعوامل المذهبية

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل عن تلك الثورات انظر:
محمد يحيى الحداد: المرجع السابق صـ ٣٤٧
- Jacob, H.F: op. cit., p. 73 .
ـ الواسعي: المرجع السابق ص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧
٢ ـ الجرافي: المرجع السابق: ص ص ٩٨ ـ ٢٠٩
ـ سلفاتور أبونتي : المرجع السابق صـ ٥٣٠
- Harris, W.B: A Journey through the Yemen: and some general remarks upon that country, London , 1893, p. 111.
وقد أسر هذا الرحالة على يد القوات العثمانية في تلك الأونة.

والتناقض القائم بين العثمانيين السنة والزيديين الشيعة، غير أننا نجد أن الإمام المنصور قد حاول التظاهر بأن تزعمه للثورة يعود إلى محاولة تطبيق الشرع ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووضع حد لظلم الرعية من المأمورين العثمانيين الذين رأى أنهم يرتكبون المحرمات من شرب الخمور والجهر بالزنا والفجور وترك الحدود التي أمر بها الله، سبحانه وتعالى، وأنه قام بالثورة لوضع حد لتلك المنكرات والضرب على يد مرتكبيها، وتنفيذ الشريعة وإنصاف المظلومين. كما أوضح المنصور في رسالة أرسلها للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) عام ١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ موضحاً أنه رغم إقراره بمكانة السلطنة وسعيها للذود عن الديار الإسلامية ، بيد أن مأموريها يتبعون وسائل لا يقبلها اليمنيون ولذا كانت ثورتهم(١).

ولكن بعيداً عن هذه الادعاءآت التي ساقها الإمام المنصور، وباستقراء الأسباب الحقيقية وراء تلك الثورات يتضح لنا أن الإمام الزيدي حاول إظهار العثمانيين بمظهر الخارجين عن الشريعة الإسلامية في محاولة لإثارة مشاعر القبائل اليمنية ضدهم. على حين أن السبب الحقيقي يكمن في السعي لإيجاد مكانة سياسية له على اعتبار أن الإمامة الزيدية تمثل التنظيم السياسي اليمني الوحيد القادر على مواجهة السلطنة، ومن هنا كان الاتجاه للعزف على

١ - ورد ذلك في رسالة أرسلها الامام المنصور للسلطان عبد الحميد الثاني لتبرير سبب ثورته .

انظر: العرش: المرجع السابق، ص ص ٧٩ - ٨٠

- الجرافي: المرجع السابق: ص ص ٢١٠ - ٢١٧

- الواسعي: المرجع السابق، ص ٢٧٧ .

هذا الوتر الحساس للقبائل اليمنية لاكتساب قلوبها وتأييدها من خلف حجاب ألا وهو التظاهر بالذود عن الشريعة والقضاء على الفساد والظلم في آن واحد . ويبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني قد خشى من عواقب تحول الثورة باليمن عن مجراها السياسي إلى المجال العقائدي فأرسل للإمام المنصور يدعوه إلى الكف عن إراقة الدماء ويرهبه ببطش السلطنة، حيث قرن له الوعد بالوعيد، وأرسل أحد رجاله وهو "نامق بك" للتعرف على أسباب الثورة واستطلاع أوضاع البلاد. كما جرت عدة مكاتبات بين الإمام المنصور وأحمد فيضي باشا والى اليمن في محاولة لإقرار الأمن والسكينة بالبلاد(١). حقيقة أن تلك المحاولات التفاوضية وإن كانت لم تأت بالنتائج المرجوة منها، بيد أنها مثلت بداية مرحلة جديدة من مراحل العلاقات السياسية بين الإدارة العثمانية والإمام الزيدي، ومحاولة استكشاف كنه الثورة وتفهم مطالب الإمام المنصور توطئة لإقرار الأمور في أرجاء الولاية الثائرة وتحقيق قدر من التوائم بين مصالح السلطنة والتطلعات السياسية للإمام الزيدي، وهو ما سيتحقق بالفعل بعد عقدين من الزمان.

وقبل أن نطوي صفحات ثورات اليمن أعوام ١٨٧٦ ، ١٨٩١م ١٢٩٣ - ١٣٠٩هـ لا بد أن نتوقف قليلا لمناقشة ما تردد عن دور الانجليز في تأليب قبائل اليمن ضد الحكم العثماني لزعزة أركان هذا الحكم في تلك الأرجاء. والحقيقة التاريخية توضح حتمية الصدام بين الإنجليز والعثمانيين في هذه المنطقة الحيوية والتي كانت بريطانيا تضعها نصب عينيها باعتبارها الطريق

١ - الجرافي: المرجع السابق ص ص ٢١٠ - ٢١٧
- الواسعي: المرجع السابق ص ص ٢٧٧ - ٢٨٩ .

الحيوي إلى هذا المستودع البشرى والمادي وهو الهند. ومن ثم كان لا بد أن تقف بريطانيا بالمرصاد لأية محاولة من جانب السلطنة العثمانية لإعلاء نفوذها وفرض سيطرتها الحقيقية على إقليم اليمن المجاور لعدن التي احتلتها إنجلترا عام ١٨٣٩ - ١٢٥٥هـ، ومن هنا كان لا بد أن تلعب الأصابع البريطانية في اليمن بغية بث الفرقة بين قبائله وأهله وتأليبهم ضد الحكم العثماني:

وقد سعت بريطانيا لتبرير مسلكها التدخلي في اليمن بدعاوى شتى، منها ذودها عن القبائل اليمنية، أو محاولتها إقرار الأمور في المنطقة وتأمين حدود مستعمرتها عدن، وكذلك تأمين قوافل التجارة المتجهة من وإلى عدن من عدوان القبائل اليمنية . بل لقد سعت بريطانيا لإيجاد منطقة موالية لها أو مهادنة على أقل تقدير، وهى التي توسطت منطقة النفوذ الإنجليزي في جنوب اليمن وولاية اليمن العثمانية ، بما يحول دون تغلغل العثمانيين في تلك المنطقة وتهديد المصالح الإنجليزية بعدن(١).

ومن هنا فقد ارتأى البعض أن الإنجليز كان لهم دور هام في ثورات اليمن، وأنهم كانوا يمدون القبائل اليمنية الثائرة علي العثمانيين بالأسلحة والمساعدات والتي كانت تهرب من أماكن شتى بواسطة التجار والمغامرين(٢).

وإن كان البعض الآخر قد ارتأى عدم صحة ما تردد عن الدسائس

---

١ - فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨، ص ص ٥٣٣ - ٥٣٨ .

٢ - Harris. W.B: op. cit., p. 16

وهذه شهادة أحد الرحالة الإنجليز عاصر أحداث ثورة ١٨٩١ ، العرشي: المرجع السابق: ص ١٢٨ .

والمؤامرات من جانب إنجلترا ضد الحكم العثماني في اليمن، من منظور أن إنجلترا قد استفادت من التواجد العثماني في اليمن لأنه أدى إلى كبح جماح القبائل اليمنية التي اعتادت على عرقلة مرور القوافل التجارية بين عدن والمناطق الداخلية وبالعكس؛ حيث لم تستطع الإمامة الزيدية ـ لضعفها وتنازع الأئمة فيما بينهم، مع عدم وجود سلطة مركزية قوية باليمن آنذاك ـ تحقيق الأمن لتلك القوافل، وأن السلطنة العثمانية رغم ضعفها وتأرجح نفوذها في البلاد ، استطاعت بسط نفوذها على مناطق كثيرة بها، مما أدى إلى تأمين الطرق لهذه القوافل وهو ما أفاد المصالح البريطانية بعدن(١).

غير أنه يمكن القول أنه باستقراء أحوال تلك المنطقة والسياسة البريطانية بها، نجد ضعف هذا الرأي لأن مصالح إنجلترا في هذه المنطقة لا يمكن حصرها في تلك القوافل التجارية البرية بين عدن وبقية أنحاء اليمن، كما أن بريطانيا كان هدفها الأعظم الطريق البحرى إلى الهند ومصالحها في بلاد العراق، خاصة منطقة البصرة امتداداً إلى بلاد فارس حيث الصراع الدائر بينها وبين روسيا، والذي لم يهدأ إلا بتوقيع معاهدة تقسيم النفوذ بينهما ببلاد فارس عام ١٩٠٧م ١٣٢٥هـ. ومن ثم كان لا بد أن يسبب التواجد العثماني باليمن الأرق الدائم للإنجليز خاصة في حالة استتباب الأمور في تلك الأرجاء، ومن هنا كان القلق والاضطراب والثورة التي تؤججها بريطانيا عاملاً من عوامل زعزعة النفوذ العثماني باليمن وهو ما أفاد الإنجليز بعدن دون أدنى شك.

١ ـ فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية، ص ٥٢٣
ـ الحكم العثماني في اليمن، ص ١٤٧ .

ومن جانب آخر فقد سعت السلطنة العثمانية إلى القيام بذات الدور الذي قامت به إنجلترا تجاه القبائل اليمنية لكسب ودها واستخدامها وقتما تشاء، فوجدنا العثمانيين يسعون إلى توثيق علاقاتهم بشيوخ وسلاطين وأمراء المناطق الجنوبية ومنحهم إعانات مالية لإقامة جسور الود معهم على نحو ما فعل الإنجليز مع القبائل اليمنية المحيطة بعدن(١).

والواقع أن السياسة الإنجليزية تجاه قبائل اليمن لن تغلق صفحاتها بانتهاء الثورات اليمنية السابقة، بل ستفتح تلك الصفحات مرة أخرى في أثناء ثورة اليمن الكبرى عام ١٩٠٤ ـ ١٣٢٢هـ، وهو ما سنتناوله فيما بعد.

ونخلص مما سبق أن عودة الحكم العثماني لليمن قد صاحبه ثورات أهله للأسباب التي أشرنا إليها فيما سبق. وأن هذه الثورات لم يتم القضاء عليها قضاءً مبرماً؛ حيث ستعود وبعنف بالغ في أوائل القرن العشرين لتثير الكثير من الغبار حول هذا الحكم العثماني، وسيكون للدوريات المصرية دورها في تناول هذه الثورة حسب ميولها وانتماءاتها السياسية وهو ما سنوضحه فيما يلي.

١ ـ تم ذلك مع سلاطين وأمراء لحج والضالع وأراضي الحواشب في الجنوب.

الفصل الثاني

الثورة اليمنية الكبرى ١٩٠٤ م - ١٣٢٢ هـ

أسبابها - أطوارها - نتائجها

شغلت القضية اليمنية الدولة العثمانية منذ أوائل القرن العشرين عن كثير من قضاياها الأخرى؛ حيث إن العمليات العسكرية التي قامت بها في سهول اليمن وفوق جباله الشاهقة قد كبدها الكثير من المشقة والتضحيات بالرجال والأموال. ومن ثم فقد سعت الدولة إلى إيجاد حل لهذه المعضلة السياسية بعد أن ثبت أن الأسلوب العسكري لم يجد لإقرار الأمور في الولاية الثائرة. وقد خشيت الدولة من الاعتراف للإمام الزيدي بشيء من النفوذ حتى لا يتدعم سلطانه فينقلب عليها وينقض سيادتها عن إمارته. ومما زاد الأمور سوءًا أن السيطرة العثمانية الفعلية لم تصل إلى شرق البلاد وجنوبها حتى أن مدن مأرب وصعدة ونجران وشهارة وقفلة عذر وقبائلها "حاشد وأرحب" وغيرها ظلت تحت سلطة الأئمة الزيدية والمشايخ المحليين(١).

وقد استمر سوء الأوضاع السياسية بولاية اليمن مع مطلع القرن العشرين وكاد الهزال والشيخوخة أن يصيبا السلطنة بالشلل التام، وصاحب هذا إستمرار مظاهر فساد الادارة العثمانية باليمن، وبخاصة أن العثمانيين

---

١ - للمزيد من التفاصيل أنظر:
فاروق عثمان أباظة: الحكم العثماني في اليمن، صـ ١٠٠ .

اعتبروا هذه الولاية منفى للمغضوب عليهم من موظفيهم(١)، فاستمر ظلم وفساد عمال اليمن من العثمانيين، مما دفع أهله للثورة على مظاهر الجور والرشوة والاستبداد التي تفشت بين هؤلاء الموظفين الأتراك.

وكل هذا لم يمنع وجود بعض الولاة الذين تمتعوا بحسن السيرة والإدارة والسعي لقطع دابر الفساد وإرضاء أهل اليمن لإبعادهم عن الثورة والتمرد والعصيان إبان هذه الفترة. وكان خير مثال لهؤلاء الولاة الذين نالوا رضاء أهل البلاد والثناء عليهم أحمد حلمي باشا ١٣١٥ - ١٣١٨هـ - ١٨٩٧ - ١٩٠٠م ، وحسن تحسين باشا ١٩٠٠م (١٣٢٦هـ) وأحمد عزت باشا الذي تم في عهده توقيع الصلح النهائي بين الإمام المتوكل والسلطنة عام ١٩١١م - ١٣٢٩(٢). على حين نال غيرهم من الولاة الذين تولوا حكم هذه الولاية كل مذمة ونقيصة لما عرفوا به من القسوة والظلم وسوء السياسة والإدارة مثل محمد على باشا الذي كان مثالاً سيئاً لهؤلاء الولاة لما عرف به من العنف والقسوة وسجن أهالي البلاد لمجرد الشبهة. ولقد كان أمثال هؤلاء الولاة القساة الفاسدين من الأسباب الرئيسية لثورات أهالى اليمن في مطلع القرن العشرين(٣).

١ - تكوين اليمن الحديث، ص ٢ .

٢ - للمزيد عن سيرة هؤلاء الولاة انظر: العرشي: المرجع السابق، ص ص ٨٣ - ٨٧ .
الواسعى: المرجع السابق، ص ٢١٩ .
محمد يحيى الحداد: المرجع السابق، ص ٣٥٣ .
عبد الله بن أحمد الثور: المرجع السابق، ص ٣٥١ .

٣ - الجرافي: المرجع السابق، ص ١٠٠ .
- المؤيد : عدد ٦٢٨٩ ، ١٣ فبراير ١٩١١ .
- المؤيد عدد ٦٣٢٤ ، ١٩١١/٣/٢٧ .
المؤيد جريدة مصرية صدرت عام ١٨٨٩ لصاحبيها الشيخ على يوسف وأحمد حافظ عوض .

وكانت سوء الأحوال الاقتصادية لليمن رافداً آخر من روافد الثورة حيث انتشرت المجاعات واشتد الغلاء وقل الطعام نتيجة للقحط الذي عم البلاد منذ أوائل القرن العشرين، مما جعل اليمنيين يتطلعون للخلاص ممن تصوروا أنه السبب الرئيسى لما حل بهم وهو سوء الحكم العثماني(١)، وقد استغل الأئمة الزيديون هذه الأسباب السابقة وجعلوها ستاراً لثوراتهم من منطلق أنهم يسعون لرفع الظلم ومحاربة الفساد العثماني، على حين كانوا في واقع الأمر يسعون لتحقيق مصالحهم الخاصة وتأكيد زعامتهم الدينية والحصول على بعض مظاهر السلطة والاعتراف بمكانتهم وكيانهم الديني والسياسي في البلاد.

وإذا كان البعض قد حاول أن يجعل محور ثورات اليمن في أوائل القرن العشرين والعامل الديني، وذلك التناقض المذهبي بين الزيدية الشيعة والعثمانيين السنة(٢)، إلا أن واقع الأمر يدحض هذا القول لأن الثورات التي تزعمها الإمام الزيدي المتوكل منذ عام ١٩٠٤ ـ ١٣٢٢هـ لم تكن لرفضه الخلافة العثمانية السنية ولكن كانت دفاعا عن مصالح وأوضاع خاصة به، فلم يكن هناك ما يمنع هذا الإمام من الاعتراف بالسيادة العثمانية على شريطة اعترافها ـ هى الأخرى ـ بزعامته الدينية إلى جانب بعض مظاهر السلطة الزمنية(٣).

---

١ ـ العرشى: المرجع السابق، ص ٨٥ .
، الجرافي المرجع السابق، ٢١٩ .
٢ ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ص ٣٠ ـ ٣٢ .
٣ ـ وقد دللت المفاوضات بين الإمام المتوكل والإدارة العثمانية على هذه الرؤية التاريخية، وكان محور هذه المفاوضات ما يمكن أن تقدمه الإدارة العثمانية للإمام المتوكل من تنازلات سياسية.

وإذا ما انتقلنا إلى أحداث ثورة عام ١٩٠٤م ـ ١٣٢٢هـ ـ والتي تُعد أهم ثورات أهالي اليمن ضد الحكم العثماني والتي كانت ثورة عامة شملت كافة أقاليم البلاد وتزعمها الإمام الزيدي يحيى بن محمد حميد الدين الذي خلف والده الإمام المنصور ولقب بالمتوكل على الله(*)، وقد شارك والده في ثوراته السابقة، فاكتسب خبرة واسعة بحقيقة أوضاع البلاد السياسية والقبلية،نتيجة لمعايشته ومشاهدته عن كثب مجريات الأمور ومشاركته الإيجابية في أحداث اليمن أواخر القرن التاسع عشر؛ حيث قام بالاتصال بالقبائل اليمنية لتكتيل جهودها وحشد رجالها للثورة(١).

وقد واجه الإمام يحيى عقب مبايعته صعوبات عديدة منها قيام بعض أقاربه بالدعوة للإمامة لأنفسهم، كما جنحت بعض القبائل الخاضعة للسلطة الزيدية إلى محاولة الخروج عن طاعته(٢)، إلا أنه استطاع في فترة وجيزة السيطرة على الأمور والقضاء على مناوئيه. ثم سرعان ما أعلن الجهاد ضد الأتراك، ودعا قومه إلى "التنكيل بهؤلاء الذين سعوا في الأرض فساداً وتركوا الشرائع وظلموا العباد"، وسعى لتأليب سائر القبائل اليمنية(٣) على العثمانيين وأرسل أعوانه إلى سائر أنحاء البلاد، فاستجابت الكثير من القبائل لدعوته

---

* بويع الإمام يحيى بن محمد حميد الدين خلفاً لوالده الإمام المنصور، واتخذ لقب المتوكل على الله. وهو الإمام السابع والثمانون في تاريخ الأئمة الزيدية.

١ ـ انظر: أمين سعيد، المرجع السابق، ص ٢٧ .
ـ احمد حسين شرف الدين ، المرجع السابق، ص ٢٦٧
ـ امين الريحاني: المرجع السابق، ص ١٤٧ .
ـ محمد حسن ، قلب اليمن حـ ١ ، مطبعة المعارف ببغداد، ١٩٤٧، صـ ٩٦ .

٢ ـ . Bremond, E: Yemen et Saudia, Paris 1937. p. 71

٣ ـ للمزيد من التفاصيل عن رؤىء الإمام يحيى للثورة والجهاد ضد الأتراك، انظر ملحق رقم (١).

وأقبلوا من كل فج لنصرته، لتتحول أقاليم اليمن إلى بركان يلفظ نيرانه في كل بقعة من البقاع اليمنية(١).

وقد كلل الإمام يحيى جهوده بمحاصرة مدينة صنعاء ذاتها مقر الإدارة العثمانية باليمن، حيث ضم جيشه أكثر من عشرين ألف يمنى بين زيدي وشافعى على السواء. كما تساقطت في يده المدن اليمنية الواحدة تلو الأخرى مثل مدن "عمران وحجه وتلا(٢) . بيد أن دخول الإمام يحيى صنعاء مَثَّل ذروة انتصاراته في هذه الثورة بعد أن استسلمت الحامية التركية لما حل بالمدينة وأهلها من أهوال. وقد وافق العثمانيون المحاصرون على شروط الإمام يحيى والتي تقضى بخروجهم من صنعاء تاركين أسلحتهم وأموالهم، حيث دخلها الإمام الزيدي صنعاء في ٢١ ابريل ١٩٠٥م، ١٤ صفر ١٣٢٣هـ وعندئذ أعلنت أكثر البلاد الطاعة له(٣).

وقد دامت سيطرة الإمام يحيى على صنعاء عدة أشهر على أمل تحرك الباب العالي للمفاوضة وصولاً لعقد صلح يرضى الطرفين. ولكن الباب العالى ـ بدلا من إرسال وفد للمصالحة ـ ارسل حملة ضخمة قادها أحمد فيضى باشا المعروف بشدته وقسوته والخبير بشئون اليمن لتكرار ولايته عليها وقد انضمت إلى حملته القوات العثمانية التي سبق انسحابها من صنعاء إلى

---

١ ـ سلفاتور أبونتى ، المرجع السابق، ص ٥٥ .
ـ أمين سعيد ، المرجع السابق، ص ص ٢٧ ـ ٢٨ .
ـ العرش، المرجع السابق، ص ص ٨٥ ـ ٨٦ .
٢ ـ عبد الله احمد الثور ، المرجع السابق، ص ٣٥٧ .
أحمد حسين شرف الدين، المرجع السابق، ص ٢٦٧ .
الجرافي، المرجع السابق، ص ٢١٩ .
٣ ـ . Bremonol, E.: op. cit., p72

مدينة "حراز"، وقد تمكن أحمد فيضى باشا من دخول صنعاء عنوة بعد أن انسحب منها الإمام يحيى الذي عاد إلى قاعدته صعدة[١]. بيد أن هذا النصر الذي حققه فيضى باشا أطمعه في السعى للقضاء على قوى الثورة، فزحف بقواته على مدينة "شهارة" وهى من المراكز الرئيسية للإمام يحيى، حيث لحقت به هزيمة قاسية بعد أن أحدقت به قوات الإمام يحيى من كل جانب، ففقد ما يقارب نصف جيشه، بعد أن تم استدراجه إلى المناطق الوعرة بالهضبة الشمالية للبلاد والتي كانت لا تزال في قبضة الإمام يحيى[٢] . ومع ذلك فقد نجح فيضي باشا في إخضاع بعض المدن الهامة التي كانت تحت سيطرة الإمام يحيى مثل كوكبان وعمران وحجة[٣]. ومما لا شك فيه أن معركة "شهارة" تعد من أهم المعارك التي حقق فيها اليمنيون الثائرون النصر على القوات العثمانية التي حالت دون استعادة السلطنة لسطوتها على أنحاء اليمن؛ حيث استمرت مناطق كثيرة خارجة عن طاعتها وسيطرتها.

وإذا كان العديد من المؤرخين اليمنيين ومن نقل عنهم تناولوا انسحاب الإمام يحيى من صنعاء من منظور أنه جاء نتيجة لخشية الإمام على المدينة وأهلها من الخراب والدمار والنهب والسلب وإراقة الدماء[٤]. إلا أن الأرجح أن

---

١ ـ محمد يحيى الحداد : المرجع السابق، ص ص ٣٥٣ ـ ٣٥٨ .
ـ العرشي: المرجع السابق، ص ٨٦ .
ـ الجرافي: المرجع السابق، ص ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .
٢ ـ . Jacob: op. cit., p. 111
٣ ـ الجرافي : المرجع السابق، ص ٢٢٠ .
٤ ـ احمد شرف الدين: المرجع السابق، ص ٢٦٨ .
ـ محمد يحيى الحداد: المرجع السابق، ص ٣٥٨ .
ـ العرشي: المرجع السابق، صـ ٨٦ .

السبب الرئيسي لانسحاب الإمام يحيى من صنعاء جاء اضطراراً وليس اختياراً ؛ حيث خشي من محاصرته مع قواته داخل صنعاء والقضاء عليه قضاءً مبرماً، لضخامة حملة أحمد فيضي باشا، ومن ثم كانت مسارعته بالانسحاب من صنعاء والتحصن بمنطقة الجبال الشمالية التي اعتصم بها بعيداً عن سطوة القوة العثمانية.

وقد لجأت السلطنة العثمانية لتجربة المفاوضات مع الإمام الثائر وبدرجة أكثر فاعلية عما تم في عهد أبيه أملاً في الوصول لحل لهذه المعضلة السياسية علها توفر ما تبذله من جهد شاق لقمع الثورات المستمرة في أنحاء البلاد. وقد رحب الإمام يحيى بمبدأ المفاوضة بعد ما حقق من مكانة وزعامة بين القبائل اليمنية، وكان يخشى استمرار الحرب فيتعرض لانتقام السلطنة وتخلى القبائل اليمنية عنه لسبب أو لآخر.

والأرجح أن السلطنة العثمانية استخدمت سلاح المفاوضة وهى تعلم مقدماً بشروط الامام الثائر التي لا تتفق مع سياستها المركزية الجديدة، ويبدو أن السلطنة لجأت لهذا الأسلوب السياسي كسباً للوقت حتى تستطع الإجهاز على قوى المقاومة لسلطانها في البلاد ، وأيضا لعلمها المسبق أن القبائل اليمنية لا يمكن أن يركن إليها الإمام يحيى طويلا ، وأنها تستطيع باستخدام سلاح المال أن تجعلها تنفض من حوله وهى سياسة اعتادت عليها السلطنة وأدمنتها ونجحت فيها في كثير من الأحيان.

وقد أوضح الإمام يحيى لوفد السلطنة الساعى للمفاوضة عن أمله في إطفاء نار الحرب وإحلال الصداقة والود محل العداء والثورة، وأن تسلم البلاد من المحن وإراقة الدماء بين الجانبين(١).

١ ـ أحمد سعيد: المرجع السابق، ص ٢٨ .

وقد وضع الإمام يحيى خمسة عشر شرطا دونها كتابة لإحلال السلام بالبلاد. واشتملت هذه الشروط على ضرورة أن تكون الأحكام وفقا للشريعة الإسلامية، وأن يكون له حق تعيين وعزل قضاة وحكام الشرع. وأن يوكل إليه معاقبة الخائنين والمرتشين، وأن تحال إلى عهدته الأوقاف، وأن يأخذ العشر من المزروعات التي تسقى بماء السماء ونصف العشر من التي تسقى بالآبار، وأن يعلن عفواً عاماً في البلاد حتى لا يسأل أحد عما قام به من قبل ...، وأن يكون الحفاظ على أمن اليمن الخارجي من تعديات الدول الأجنبية منوطاً بالدولة العثمانية ....، وغير ذلك من الشروط التي وضعها الإمام يحيى أمام وفد المفاوضة العثماني(١).

وباستقراء شروط الإمام يحيى لإحلال السلم بالبلاد يتضح اعترافه بوضوح ودون مواربة بالسيادة العثمانية على البلاد، وهو ما يؤكد الرأى السابق بأن الثورة كانت لها أسباب أخرى بخلاف ما تردد عن سعي زعمائها لخلع التبعة العثمانية عنهم. كما توضح شروط الإمام للصلح أن هدفه هو الإعتراف بزعامته الدينية على البلاد، مع منحه قدر من السلطة الزمنية، باعتبارها الأسباب الحقيقية التي ثار من أجل الحصول عليها. كما سعى الإمام إلى إدخال بعض التغييرات على النظام الإداري في الولاية حتى تزول شكوى أهالي البلاد من ظلم المأمورين العثمانيين.

واذا كان الإمام يحيى سعى للحصول على إمتيازات دينية وسياسية ومالية

---

١ ـ أحمد سعيد، نفسه، ص ص ٢٨ ـ ٣٠ .

ـ فاروق عثمان اباظة: الحكم العثماني في اليمن، ص ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

ـ السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٧٢ .

(من خلال إشرافه على الأوقاف، وحصوله على جزء من الإنتاج الزراعي)،إلا أنه سلم بحق السلطنة في إدارة الشئون الخارجية والدفاع عن البلاد. غير أن السلطنة لم توافق على شروط الإمام يحيى واعتبرتها انتقاصاً لسيادتها على البلاد ، لأن السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن ليقبل الإعتراف للإمام الزيدي بمشاركته في حكم اليمن، كما أن المأمورين الذين أنيط بهم المفارضة لم يخلصوا في مهمتهم ولم يكونوا أمناء بين الإمام والسلطان العثماني، ففشلت المفاوضات عام ١٩٠٦م ـ ١٣٢٤هـ ، لتعود نار الحرب مرة أخرى في البلاد.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الشروط المقدمة من قبل الإمام الزيدي ستكون دوما هى محور المفاوضات التالية، وهى الأطر الرئيسية لاتفاقية دعان ١٩١١م ـ ١٣٣٠هـ، التي انهت هذا الصراع العثماني الزيدي اليمنى.

وقد أعادت السلطنة العثمانية الكرة مع الإمام يحيى بإرسالها وفداً من علماء مكة عام ١٩٠٧م ـ ١٣٢٥هـ ـ ليقدموا له النصح ويحثوه على العودة الى حظيرة السلطنة ونبذ أسلوب الثورة والمقاومة واستبدالهما بالصلح والمسالمة. وقد أوضح الإمام يحيى لوفد علماء مكة مظاهر الفساد المتفشية بين مأمورى السلطنة باليمن، وظلمهم واستبدادهم بأهله، وأنه ما نهض إلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الشريعة والعدل بالبلاد واستئصال شأفة الفساد بمختلف أنواعه ، مؤكداً الشروط التي سبق أن تقدم بها لوفد المفاوضة العثماني[١].

١ ـ الجرافي : المرجع السابق، ص ص ٣٢٢ ـ ٣٢٥ .
أمين سعيد: المرجع السابق، ص ص ٢٩ ـ ٣١ .
الواسعي: المرجع السابق، ص ص ٢١١ ـ ٢١٨ .

ورغم أن الفشل كان من نصيب هذا الوفد المكي الذي لم ينجح في وضع حد لثورات أهالي اليمن بزعامه الإمام يحيى، إلا أن التفاوض استمر بصورة أو أخرى مصاحباً لاستمرارية الثورات أيضا . ورغم محاولات نظام الحكم الجديد للسلطنة ـ بعد انقلاب عام ١٩٠٨م ـ ١٣٢٦هـ ـ وضع حد لتلك المشكلة المستعصية، من حلال "وضع مجلس المبعوثان" خطة للمصالحة، إلا أن هذا المشروع لقى حتفه على يد" طلعت بك" وزير الداالخلية(١)، ليموت في ذات يوم مولده.

صلح دعان(*) ونهاية ثورات أهل اليمن:

يعد عام ١٩١١ ـ ١٣٣٠هـ نهاية المطاف لسنوات الاضطرابات والثورات الملتهبة بأنحاء اليمن، فقد طوى هذا الصلح صفحات العداء والتناحر الدموى بين العثمانيين وأهل اليمن، بعد أن نجح الطرفان فيما فشلا فيه من قبل بالتوصل إلى صلح أعاد الاستقرار للبلاد بعد سنوات تأرجح لم يتحقق فيها النصر لكليهما. وقد طرأت مستجدات سياسية أدت إلى توقيع هذا الصلح. فبالنسبة للدولة العثمانية نجد أن أوضاع إمبراطوريتها تدهورت إلى حد بعيد، فها هى النمسا تستولى على البوسنة والهرسك وتضمهما إليها عام ١٩٠٨ ـ ١٣٢٦هـ. وإيطاليا تقتنص طرابلس الغرب عام ١٩١١ ـ ١٣٣٠هـ ، وإنجلترا تحرك الفتن في الجزيرة العربية ذاتها إمعانا في تضييق الخناق على العثمانيين، والأوضاع في البلقان تشتعل بعد ظهور الصرب كقوة ساعية لتكوين صربيا الكبرى.

---

١ ـ الاهرام عدد ٩٥٠٨ ٢٦ يونيو ١٩٠٩

ـ صدرت الأهرام في مصر عام ١٨٧٧ لصاحبيها سليم وبشارة تقلا

ـ المؤيد عدد ٦٠٢٧ ١٣ ابريل ١٩١٠ .

* دعان: هى قرية تقع غرب مدينة عمران باليمن.

وبالنسبة للإمام يحيى فإن الحروب قد طال زمانها، والقبائل الموالية له لا أمان لها، والمنافسون له على الإمامة عديدون ويتحينون الفرصة لزحزحته عنها، والقبائل المحيطة به ليست زيدية كلها، بل إن بعضها شافعي، وما خرجت تحت لوائه إلا لاستيائها وسخطها على فساد الولاة العثمانيين، حتى القبائل الزيدية ليست كلها موالية له، ومن ثم فإن لغة المال يمكن أن يكون لها أثرها في إستمالة هذه القبائل(١). وقد تأخرت الدولة العثمانية كثيراً في استيعاب الواقع اليمنى بتفهم مطالب الإمام الزيدي والقبائل اليمنية، ولو كانت قد تمكنت من الوصول إلى هذا الفهم من قبل لوفرت على نفسها مشاق عديدة وسنوات طويلة تكبدت فيها خسائر بشرية ومادية جمة.

وقد اتجهت حكومة الاتحاديين بالآستانة لمفاوضة الإمام يحيى، فأرسلت عزت باشا مخولة إياه كافة الصلاحيات لعقد الصلح مع زعيم الثورة باليمن، وكان تدخل بعض الشخصيات(*) العربية كوسطاء بين الطرفين من عوامل إحداث الالتقاء بينهما(٢).

وباستقراء بنود إتفاقية دعان يتضح أن السلطنة العثمانية قد اعترفت أخيراً بما لم تقبله مراراً من قبل، فقد صار للإمام الزيدي حق انتخاب حكام المناطق الخاضعة له، وانتخاب رئيس المحكمة الاستئنافية بصنعاء وأعضائها، كما أنيطت شئون الأوقاف به، وصدر عفو عام عن الجرائم السياسية التي

---

١ ـ للمزيد انظر: . Jacob: op. cit., p. 70

* من هذه الشخصيات العربية التي توسطت لعقد هذا الصلح الشريف حسين، وعزيز على المصري، وسليم الجزائري، والسيد أحمد سلطان لحج.

٢ ـ محمود صالح منسى، المرجع السابق، ص ٢١٩ .

ـ محمد يحيى الحداد المرجع السابق، ص ٣٥٩ ومابعدها.

ـ احمد حسين شرف الدين: المرجع السابق، ص ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

ـ السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث، ص ص ١٣٠ ـ ١٣٤ .

سلفت، كما اتفق على أن تجبى التكاليف الأميرية بحسب الشرع ، وأن يحق تقديم "الزيود" الهدايا للإمام مباشرة أو عن طريق شيوخ البلاد، وأن يسلم الإمام عُشْر حاصلاته للدولة، كما صار للإمام حق الإشراف على الإدارة وموظفيها بالبلاد، وأن يعرض مظاهر إساءة السلطة للإدارة العثمانية متى تراءي له هذا(١).

ولكن يجب ملاحظة أن هذه المكاسب التي نالها الإمام يحيى بمقتضى اتفاقية دعان قيدت بموافقة الحكومة العثمانية.

والحقيقة فإن صلح دعان عدّ استجابة للواقع العثماني واليمنى في آن واحد، وأن هذا الصلح حمل بين ثناياه خلاصة المطالب التي سبق أن تقدم بها الإمام يحيى للوصول إلى حل للعداء التركي الزيدي اليمني. وبالفعل حقق هذا الإتفاق عودة الاستقرار لليمن بعد أن نال الإمام الزيدي ما تطلع إليه من المشاركة في حكم البلاد مع اعترافه بالسيادة العثمانية ولكن بعد تحديد مظاهر هذه السيادة، وهو ما تشابه إلى حد كبير مع وضع الأشراف بمكة وتمتعهم بقدر لا بأس به من الاستقلال الذاتي. وبالفعل وجدنا الإمام يحيى يرضخ للاتفاق ويوزع منشوراً على القبائل الموالية له يحذرها من مغبة الخروج على السلطة العثمانية والتعدى على جنودها، ليطوى هذا السجل الحافل بالثورات منذ عام ١٨٧٦م ١٢٩٣هـ وحتى ١٩١١م ـ ١٣٣٠هـ، وتفتح صحفات جديدة في التعامل والتعاون بين الإمام الزيدي والسلطة العثمانية.

---

١ ـ للمزيد من التفاصيل عن بنود الصلح وظروفه أنظر:
- أمين سعيد: المرجع السابق، ص ٣٢ .
- امين الريحاني: المرجع السابق ص ١٤٦ .
- السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ص ١٤١ ـ ١٤٦ .
- الواسعي: المرجع السابق ص ٢٤٣ .
- الملحق رقم (٢) حيث بنود الصلح كاملة.

الفصل الثالث
موقف الصحافة في مصر
من الثورات اليمنية والدولة العثمانية

إذا ما تطرقنا للرؤية المصرية لحوادث اليمن وثوراته، السابق تناولها، والممثلة في الصحف التي كانت تصدر في مصر ، يتضح لنا أن هذه الصحف عالجت هذه الثورات من منظور خاص بها ، تبعا لانتماءاتها وولاءاتها السياسية المتعددة، والتي تأرجحت بين أصحاب السلطة الفعلية في مصر آنذاك (الإنجليز) وأصحاب السلطة الشرعية الاسمية (الدولة العثمانية).

باستقراء تاريخ الصحافة في مصر قبيل وبعد الاحتلال يتضح أن غالبية أصحاب هذه الصحف كانوا من المسيحيين الشوام الذين عرفوا بعدم الميل للدولة العثمانية، والذين لتتبع سوءاتها مع الحرص في ذات الوقت على إخفاء شعورهم الحقيقي تجاهها خشية إثارة المشاعر الدينية لأهل البلاد، الذين تعلقوا بها باعتبارها دولة الخلافة الواجب مؤازرتها والتعلق بأهدابها. بيد أن هذه المحاولات الخداعية من معظم تلك الصحف تغيرت إلى حد كبير بعد الاحتلال، حيث نجح الإنجليز في اصطناع العديد من أصحابها لأنفسهم بهدف الترويج لسياساتهم وزعزعة نفوذ الدولة العثمانية ـ صاحبة السيادة الشرعية على البلاد ـ من نفوس المصريين[١]. في ذات الوقت الذي لم تقف

---

١ ـ للمزيد من التفاصيل انظر:
عمر محمد بكر : موقف الشوام من قضايا مصر السياسية منذ عصر إسماعيل وحتى الحرب العالمية الأولى، ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٨٦، ص ٣٦٥ ومابعدها.

الدولة العثمانية مكتوفة الأيدى، فسعت بدورها لاصطناع بعض الصحف لتكون منابر للدعوة لها والترويج لسياساتها، وانتقاد الاحتلال باعتباره مغتصباً لحقوق البلاد(١). وقد أغدق الطرفان الإنجليز والعثمانيون ، الأموال بغير حساب لاجتذاب المزيد من الأعوان والأنصار، وإضعاف الفريق الآخر. ومما يلفت النظر أن الصحف التي ناصرت الدولة العثمانية في مصر ونافحت عنها باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية كان أصحابها من المسيحيين الشوام أيضا، ولكن العطايا والهبات والنياشين جعلتهم يغضون الطرف تماما عن الاختلاف الديني بينهم وبين تلك الدولة، بل لقد تظاهر هؤلاء بالذود عن الإسلام وأهله حتى فاقوا المسلمين أنفسهم في مواقفهم من دولتهم الإسلامية(٢).

وقد انعكس هذا التباين السياسي بين تلك الصحف، التي كانت تصدر في مصر - على مواقفها من العديد من القضايا التي أثيرت آنذاك ومنها القضية اليمنية. فلم تعالجها تلك الصحف لذاتها، وإنما باعتبارها فرصة سانحة للنيل من الدول العثمانية، وإظهار ما وصلت اليه من ضعف وخور وسوء سياسة، هذا من جانب الصحف الاحتلالية، أما الصحف الموالية للدولة العثمانية فقد اعتبرتها عصيان وتمرد وخروج على دولة الخلافة نتيجة التآمر الاوربي بصفة عامة والإنجليزي بصفة خاصة ضد العالم الإسلامي ودولته الكبرى.

---

١ - من أهم الصحف التي والت الدولة العثمانية آنذاك : الفلاح، الصادق، القاهرة، المحروسة، الأهرام، الظاهر، واللواء وغيرها.

وتمثلت الصحف الاحتلالية في المقطم، المشير، الأخبار، الراى العام والوطن وغيرها.

٢ - يتضح هذا من موقف جريدة الفلاح والتي نال صاحبها سليم حموى رتبة الباشوية من الدولة العثمانية نظير إخلاصه لها وجعله صحيفته لسان حالها. وقد صدرت عام ١٨٨٦ .

وقد جاءت ثورات اليمنيين فرصة للصحف في مصر لتعبر عن مواقفها السياسية وتسفر عن وجهها الحقيقي وولائها السياسي، فانقسمت إلى فرق ثلاث. الصحف الموالية للاحتلال وجاءت في مقدمتها صحيفة المقطم والعصر الجديد، وصحف والت السلطنة العثمانية ونافحت عن حقوقها السيادية والشرعية على اليمن ومصر وغيرهما، ومثلتها الظاهر واللواء والأهرام. وثالثة أخذت موقف الحياد فلم تمل بكليتها نحو الاحتلال أو السلطنة العثمانية.

وسنكتفي في هذا المقام ببعض النماذج لهذه الاتجاهات السياسية التي تواجدت على صفحات الجرائد في مصرموضحة موقفها إزاء الثورة في اليمن باعتبارها عبرت عن الصحف الأخرى التي دارت في هذا الفلك أو ذاك.

فإذا ما تطرنا للصحف الاحتلالية نجد أنها عالجت ثورات اليمن من خلال المظالم التي تفشت في أنحائه وأثقلت كاهل أهله فكان بركان غضبهم باعتبارهم عرب يأبون الظلم والذل والضيم(١). أن الإدارة العثمانية باليمن بما اتسمت به من جور وفساد أحالت البلاد إلى الشقاء بعد السعد والفقر بعد الغنى، لما فرضته من ضرائب باهظة وفساد واستبداد وخروج على الشريعة الإسلامية فشرّعوا في دين الله ما ليس منه واستحلوا المحرمات وارتكبوا كل الكبائر(٢)، مما كان لا بد وأن يترتب عليه ثورة عامة بين أهل البلاد دفاعا عن

١ ـ المقطم صدرت عام ١٨٨٩م لأصحابها فارس نمر، شاهين مكاريوس، يعقوب صروف، وهم من المسيحيين الشوام ذوى ميول إنجليزية.
ـ المقطم عدد ٤٨٤٧ ، ٨ مارس ١٩٠٥ .
٢ ـ المقطم: ٤٩٣٠ ، ١٦ يونيو ١٩٠٥ .
ـ المقطم ٤٩٥٤ ، ١٤ يوليو ١٩٠٥ .
ـ المقطم ٤٩٧٢ ، ٤ اغسطس ١٩٠٥ .

الدين والوطن والعرض وأنهم لا ينشدون سوى العدل والإنصاف والأمان[١].

بل لقد مضى هذا التيار الصحفى الاحتلالى في إظهار حقده وتشفّيه في الدولة العثمانية وثورات اليمنيين عليها بحضه لهم على ضرورة الذود عن دينهم ودنياهم مهما كلفهم هذا من تضحيات. فنرى إحدى مقالات هذا الاتجاه. تخاطب اليمنيين : "فما لكم يا أشباه الرجال ما تدافعون عن دينكم ودنياكم وأولادكم كما فعل أسلافكم الأمجاد ...، ونحن بعد الله في ظهوركم ننصركم ونؤيدكم"[٢].

والحقيقة أن أطراف هذا الاتجاه الاحتلالي لم يكن بحاجة إلى المواربة ضد إظهار مشاعره الحقيقية تجاه السلطنة العثمانية وبخاصة أنه مدعوم من قبل السلطة الفعلية في البلاد، فكان من الطبيعي أن يفسح هذا الاتجاه صفحاته التنديد بالسلطنة وتبيان مساوئها في ولاياتها، وأن حكامها هم المسئولون عما وصلت إليه هذه الولايات من دمار وخراب. بل لقد رأى البعض أنه "حرام على كل حر أن يشد من أزر هذه الدولة، وأنه شلت يمين كل كاتب لا يكويها بنار الانتقاد حتى ترجع عن غيها[٣]، وأنه يستوى العدو الخارجي الذي يسلب الاستقلال والعدو الداخلي الذي يظلم ويستبد"[٤].

بل لقد بلغت استهانة بعض صحف هذا الاتجاه بالسلطنة إلى السخرية البالغة منها حتى أطلقت عليها لفظة الدولة العميانية بديلاً عن الدولة العثمانية،

---

١ - المقطم: ٤٩٤٧ ، ٦ يوليو ١٩٠٥ .

٢ - المقطم : ٤٩٣٠ ، ١٦ يونيو ١٩٠٥ .

٣ - المقطم : ٢٢٦٥ ، ٣ سبتمبر ١٨٩٦ .

٤ - المقطم: ٣٦٧١ ، ١ مايو ١٩٠١ .

والباب الواطىء بدلا من الباب العالي[1] .

ومن هنا فقد كان من الطبيعي أن يتتبع هذا الاتجاه الصحفى الاحتلالي مساوىء الدولة العثمانية ويظهر ما أطلق عليه مخازيها ومخازى جندها المرسلين لقمع ثورات اليمن. وقد استغلت هذه الصحف رسو بعض السفن العثمانية المتجهة نحو اليمن في ميناء السويس لتكتب لأهل مصر عن سوء خلق الجند العثماني وأنهم لا يفيقون من الخمر ويرتكبون شتى الموبقات[2] في محاولة لإيقاع النفرة بين المصريين والسلطنة.

بل لقد عمد هذا الاتجاه الاحتلالي إلى محاولة الإيعاز بأن هناك حركة عربية ضد السلطنة العثمانية تسعى للخروج عن طاعتها وتأسيس دولة عربية مستقلة. وأن العرب لا يستفيدون من الخضوع للعثمانيين بشيء سوى فقدان ثرواتهم وحرياتهم رغم أنهم أولى بها من غيرهم[3] . ومضى هذا التيار الاحتلالي في عدائه للدولة العثمانية وتبيان سوء أحوال الولايات العربية في الشام والعراق والحجاز واليمن في ظل إدارتها لها، ومقارنتها بأحوال مصر والسودان وما تنعمان به من حرية ورخاء تحت الحكم الإنجليزى[4]. بل لقد حاول هذا الاتجاه إظهار أن ثورة العرب على الأبواب سواء في الجزيرة العربية أو الشام والعراق اقتداءً بالثورة اليمنية، وأن العرب لم يعودوا يقبلون

---

١ ـ المشير عدد ٣٩ ، ١٣ أغسطس ١٨٩٨ ، ص ٣٠٦ .

ـ المشير : صدرت عام ١٨٩٦ لصاحبها سليم سركيس وكان من ألد أعداء السلطنة العثمانية، وكان انجليزياً لحما ودماً.

٢ ـ المقطم : ٤٩٢٦ ، ١٢ يونيو ١٩٠٥

٣ ـ العصر الجديد : عدد ٥ ، ١٣ اغسطس ١٩٠٥ .

ـ العصر الجديد صدرت عام ١٩٠٤ .

٤ ـ المقطم عدد ٤٨٧٦ ، ١١ ابريل ١٩٠٥ .

الظلم والذل من الترك(١). بل لقد أخذ هؤلاء يعقدون المقارنات بين العنصر العربي والتركي لإظهار تفوق العرب على الترك في الحضارة والمدنية من حيث أن "العرب قد خدموا الإنسانية وأنه لا يوجد آدمى ليس للعرب في عنقه منة".

وأنهم يفضلون العرب من حيث الجنس والدين واللغة والعلم وحسن الخلق ... على حين رُمى العنصر التركي بكل مذمة ونقيصة، في محاولة لاستثارة العرب وبخاصة المصريون المؤيدون للدولة العثمانية ضد الحكم الإنجليزي.

كما وصف العثمانيين بأنهم من ذرية "جنكيز خان وتيمور لنك" الذين لم يجلبوا على العالم سوى الخراب والدمار وإهراق الدماء وأن العرب يفضلونهم، لأن النبي عربي، والقرآن جاء بلسان عربي والحضارة العربية الإسلامية ظللت العالم لقرون عدة. ومن ثم فلا مجال للمقارنة بين العرب وأمجادهم والترك وتخلفهم(٢).

ورغم هذه الحملات الشعواء من جانب هذا الاتجاه السياسي الاحتلالي الصحفي في مصر تجاه السلطنة العثمانية واستغلاله ثورات اليمنيين للإفصاح عن حقيقة الشعور نحوها، إلا أن جريدة المقطم بصفة خاصة كانت تعلل هذه المواقف السياسية بأنها لا ترمى إلى إصلاح أحوال السلطنة وأنها

---

١ - المقطم ٤٨٩٥ ، ٦ مايو ١٩٠٥ .
، ٤٩٤٣ ، ١ يوليو ١٩٠٥ .
٢ - العصر الجديد عدد ١٦ ، ١٤ اكتوبر ١٩٠٤ ،
- عدد ١٧ ، ٢١ اكتوبر ١٩٠٤ ،
- عدد ٢ ، ١٦ يوليو ١٩٠٥ .
- صحيفة الجوائب المصرية ظهرت في مصر عام ١٩٠٢ وصاحبها خليل مطران.
- أما صحيفة الظاهر فقد صدرت عام ١٩٠٣ لأصحابها نصر الدين زغلول، درويش مصطفى. وهما من المصريين.

لا تنشد إلا العدل والمساواة بين الرعية العثمانية حتى تستطيع الدولة العثمانية استرداد مكانتها وقوتها ومحبة رعيتها.

أما عن الصحف ذات الاتجاه العثماني والتي مالت بكليتها نحو الدولة العثمانية عداءً لسلطات الاحتلال بمصر، فقد إنضوت تحت رايتها العديد من الصحف والتي سنكتفى بنموذجين لها ، هما: صحيفة الجوائب المصرية وصحيفة الظاهر.

وقد كان من الطبيعى أن يكون تناول هذه الصحف لثورات اليمن على نقيض الصحف الاحتلالية فقد نددت بهذه الثورات وما مثلته من شق عصا الطاعة على خليفة المسلمين مع أن العرب أولى من غيرهم بالرضوخ والطاعة لأمره(١).

ولم تَرَ هذه الصحف في هؤلاء الثائرين سوى أنهم قد دفعهم إلى هذا الموقف الجهل وعدم التبصر، وأنهم مجموعات من السذج والحمقى"، كما أن مطالبهم لم تكن في عيون تلك الصحف سوى مطالب ساذجة لا تؤدى إلا إلي المزيد من الخراب والدمار للديار اليمنية. بل إن هذا الاتجاه السياسي الصحفي الموالي للسلطنة العثمانية لم يرجع الثورة في اليمن إلى الظلم والاستبداد وغير ذلك، بل أرجعه الى طبيعة أهل اليمن وتاريخهم الطويل في التمرد والفتن رغم سعى السلطنة العثمانية للرفق بهم وإقامة العدل بينهم وعدم إرهاقهم بالضرائب والسعي للنهوض بالبلاد وتحقيق الرفاهية للعباد(٢) ومضت هذه الصحف في تتبع أوجه الإصلاح العثماني باليمن من حيث إقامة

---

١ ـ الجوانب المصرية عدد ٢٩٠ ، ٨ يناير ١٩٠٤.
٢ ـ الجوانب المصرية عدد ٦٣٠ ، ١ مارس ١٩٠٥ .

مجالس عدلية، وتعمير وترميم بعض المستشفيات والمدارس بصنعاء وغيرها[١]. وكيف أمر السلطان عبد الحميد بقبول أبناء اليمن الذين قتل ذووهم في أثناء الثورة في المدرسة الحميدية بالآستانة وعلى نفقته الخاصة[٢].

ويتضح من هنا أن هذا الاتجاه رأى ضرورة إلتفاف الأمراء اليمنيين حول دولتهم وسلطانهم وألا يعيقوا بفتنهم حكامهم عن سبل الإصلاح، على اعتبار أن اجتماع الكلمة وإزالة أوجه الخلاف، أمر ضروري للحفاظ على الأمة الإسلامية إزاء أعدائها المتربصين بها، وأن في التفرق والتمرد هلاك للممالك الإسلامية الواحدة تلو الأخرى)، وما يترتب على هذا من الضعف والهوان والخروج على أوامر الله والشريعة الإسلامية[٣]. وقد التقى أطراف هذا الاتجاه السياسي الصحفى في مصر في أن مسألة اليمن مبالغ فيها، وأنها لا تمثل سوى فتنة بسيطة تحدث في كل مكان وزمان، وأن الصحف المعادية للدولة العثمانية هى التي بالغت فيها وألبستها ثوب الاستفحال في محاولة لتشويه صورة دولة الخلافة وإظهار سوء سياستها في ولاياتها[٤].

والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين هذين الاتجاهين السياسيين في مصر - المعادى للدولة العثمانية على الدوام، والمؤيد لها بدون تحفظ. إلا أنه قد ظهر

---

١ - الظاهر عدد ٤٢٧ ١٦ ابريل ١٩٠٥ .

- عدد ٦١٠ ٢٠ نوفمبر ١٩٠٥ .

٢ - الظاهر عدد ٥٩٤ ١ نوفمبر ١٩٠٥ .

٣ - الظاهر عدد ٤٠٦ ٢٢ مارس ١٩٠٥ .

٤ - الظاهر عدد ٤٥٦ ٢٣ مايو ١٩٠٥ .

اتجاه آخر اعتدالي حاول ألا يميل إلى جانب دون الآخر. فقد أقر بمظالم الإدارة العثمانية باليمن وغيرها من الولايات الأخرى، وأرجع ذلك إلى سوء اختيار رجال الإدارة العثمانية في الولايات: وما ترتب على ذلك من خروج الرعية عن طاعة دولتهم، وأنه إذا انتفى العدل والأمن للرعية تمنوا زوال هذه الدولة(١) وقد أسدى هذا الاتجاه الاعتدالي النصح للطرفين بالهدوء وإحلال السلم والمفاوضة محل الثورة والحرب والإنصات لصوت العقل وضرورة إبلاغ إسماع حكام السلطنة العثمانية، بسوء سياسة رجال إدارتها في اليمن وما شاع بينهم من دسائس وظلم واستبداد(٢). والسعي لتلافي هذه الأخطاء لإقرار السلام بالبلاد وإعادة أهله إلى الطاعة والولاء ، وأن سياسة العنف والحرب لا تجلب سوى الدمار وكراهية الرعية لحكامهم، وأن النتيجة لن تكون محمودة لجميع الأطراف(٣).

ولعل هذه الرؤية للساحة الصحفية في مصر وموقفها العام من الثورة اليمنية في مطلع القرن العشرين توضح بجلاء أن أحداث اليمن كانت على هامش الفكر الصحفي آنذاك وأن الأساس كان الولاء أو العداء للإنجليز والدولة العثمانية، وأن تناول أحداث اليمن جاء من خلال الصراع الدامي بين السلطة الفعلية اعني سلطة الاحتلال والأخرى الشرعية في مصر، أعني السلطة العثمانية.

---

١ ـ المنار جـ ٨ ١٩ يونيو ١٩٠ ص ٣١٨ .
صدر المنار عام ١٨٩٨م وصاحبها رشيد رضا، وهو شامي مسلم.
٢ ـ المنار جـ ٥ ٥ مايو ١٩٠٥ صـ ١٩٧ .
٣ ـ المؤيد ٤٥٧٥ ٣٠ مايو ١٩٠٥ .
ـ ٤٦١٦ ١٧ يولي ١٩٠٥ .

رؤية الصحف في مصر لتطورات الثورة وموقفها من القائمين:

إذا تعمقنا في رؤى الصحف في مصر لتطورات الثورة اليمنية على اختلاف توجهاتها وانتماءاتها السياسية، نجد أن الصحف ذات الميول الاحتلالية مضت في التعرض لمساوىء الإدارة العثمانية باليمن وإرسالها عمالا استباحوا سائر المحرمات والكبائر ومارسوا كافة أنواع الظلم والفساد في حق أهالى البلاد مما يتعارض مع الشريعة الإسلامية التي لا تبيح للمخلوق طاعة في معصية الخالق(١). ومن هنا فقد اعتبر هذا الاتجاه الصحفى الثورة أمراً طبيعيا دفاعاً عن النفس والمال والعرض والشرف، بل لقد صار القائمون بالثورة في عيون هذا الاتجاه الصحفى الاحتلالي ثائرين أبطالاً لم يقبلوا الضيم والذل والهوان فسعوا للتخلص من كل تلك الآثام مضحين بأنفسهم في سبيل بلادهم. ومضت صحف هذا الاتجاه في تناول انتصارات اليمنيين وإحاطتها بهالات من المديح والإطراء بشجاعتهم وبسالتهم إزاء الجنود العثمانيين وكيف فرقوا شملهم ودخلوا العاصمة نفسها صنعاء إعلانا عن نجاح الثورة، وأنها لا تنتهى إلا بإجابة مطالب الإمام يحيى زعيمها(٢).

---

١ - المقطم ٤٩٠٦ ١٩ مايو ١٩٠٥ .
- ٤٩٩٨ ٥ سبتمبر ١٩٠٥ .

٢ - للمزيد انظر:
المقطم ٤٨٣٩، ٤٨٤٠ ٢٧، ٢٨ فبراير ١٩٠٥ .
المقطم ٤٨٧٩ ١٤ ابريل ١٩٠٥
المقطم ٤٨٩٢ ٣ مايو ١٩٠٥
المقطم ٤٩١٨ ٢٢ يونيو ١٩٠٥
العصر الجديد عدد ٥ ١٣ اغسطس ١٩٠٥

وأخذت صحف هذا الاتجاه في الإشادة بالإمام يحيى وجهوده للنهوض باليمن بعد أن سك العملة باسمه باعتباره أمير المؤمنين والخليفة الجديد، وسعيه لتوطيد الأمن بالبلاد والقضاء على مظاهر الفساد وإحلال العدل بأرجائها[1] وحفلت صفحات تلك الصحف بأنباء الانتصارات المدوية للإمام يحيى ، فإذا ما دارت الدائرة عليه وجنده وجدنا تلك الصحف تورد انتصارات السلطنة باقتضاب شديد ودون تعليق، ثم كان السعى للتقليل من أهمية هذه الانتصارات العثمانية وأنها مؤقتة ولن يكتب لها الاستمرار[2].

---

١ ـ المقطم ٥٠٠٢ ٩ سبتمبر ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد عدد ١ ٩ يولية ١٩٠٥
٢ ـ المقطم ٤٩٧٧ ١٠ اغسطس ١٩٠٥.
ـ العصر الجديد عدد ٧ ٢٧ اغسطس ١٩٠٥ .

الثورة اليمنية مقدمة لثورة عربية شاملة:

وقد سعت الصحف الاحتلالية في مصر للإيحاء بأن ثورات اليمنيين ليست إقليمية محلية، بل هى تمثل ثورة عربية على الحكم التركي، وأن عداء القبائل العربية في اليمن والحجاز هو تعبير عن كراهية العرب للعنصر التركي بعد أن سئموا الظلم والاستبداد والاستبعاد فانضووا تحت راية الخليفة العربي الجديد ـ الإمام المنصور يحيى ـ ، تطلعا للاستقلال والحرية وتكوين دولة عربية تضم في داخلها العنصر العربي وجميع الناطقين بالعربية سواء في بلاد العرب او سورية وما بين النهرين، لإعادة الحيوية والنشاط لهذا العنصر، وذلك على أطلال دولة الترك التي نخر سوس الفساد في عظامها ولم تعد بقادرة على حماية ولاياتها، وأنه لا أمل للعرب سوى في تكوين دولة لهم توحد كلمتهم وتعلى شأنهم لتصبح مرهوبة الجانب كسائر الأمم الراقية(١).

بل لقد بلغ التعصب العنصري لدى هذا الاتجاه مبلغه، ويعبر عن ذلك، تلك الأبيات الشعرية التي نظمها أحد الشعراء العرب واعتبرها هذا الاتجاه الاحتلالي صرخة عربية ضد الاستبداد التركي وحض الإمام يحيى على إفناء الجند العثماني:

يا مورداً لبنى الأتراك حتفهم * لا تبقى منهم طفل ولا ولد

واهجم على جيشهم فالله خاذلهم * لا يردّ عنك منهم كثرة العدد

يا ابن الإمام ويا خير الأعارب يا * من مده الملك الرحمن بالمدد

---

١ ـ المقطم ٤٩٤٣ ١ يوليو ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد عدد ٤٦ ٢ يوليو ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد عدد ٤٠١ ٩، ٣٠ يوليو ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد عدد ٥ ١٣ اغسطس ١٩٠٥ .

بل لقد أخذ هذاالاتجاه الاحتلالي يلوح لأهالى مصر والعرب قاطبة بأن الدول الأوربية وفي مقدمتها إنجلترا وفرنسا وألمانيا تؤيد الدولة العربية الجديدة لأنها توافق مصالحها، وأنه لا يخشى من تدخل هذه الدول لوأد هذه الدولة الوليدة(١). وقد نشرت صحف الاتجاه الاحتلالي منشور الإمام يحيى باعتباره أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الجديد والذي دعا فيه العرب لنفض الذل والهوان واليأس عنهم ودعاهم للجهاد في سبيل دينهم وملتهم لطرد هؤلاء العجم من الديار وتطهيرها من آثامهم بعد أن استحلوا المحرمات وارتكبوا كافة الموبقات(٢). ومضى هذا الاتجاه الاحتلالي في الإشادة بالخليفة العربي الجديد وانتصاراته وأنه بث روح الجهاد في نفوس العرب، وأعاد سير الجهاد أيام الخلفاء الراشدين، فانضوى عرب الجزيرة العربية تحت رايته والتفوا حوله باعتباره يدافع عن حقوق العرب جميعاً، ويسعى لانتزاع الخلافة الإسلامية من سلاطين الترك وردها إلى أصحابها الشرعيين أشراف العرب من سلالة الرسول (ﷺ). وكيف أن قبائل العرب في بلاد الشام والعراق أعلنت تأييدها له، وأنه يجب على العرب استغلال تلك الظروف السيئة التى تحيط بالسلطنة، وما لاح في الأفق من تأييد الدول الأوربية للنهضة العربية الجديدة(٣).

---

١ ـ المقطم ٤٩٤٣ ١ يوليو ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد عدد ١، ٢، ٣، ٩، ١٦، ٢٣ يوليو ١٩٠٥ .
٢ ـ المقطم ٤٩٣٠ ١٦ يونيو ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد ٤٥ ٢٥ يونيو ١٩٠٥ .
انظر نص المنشور في الملحق رقم (١)
٣ ـ المقطم ٤٩٥٤ ١٤ يوليو ١٩٠٥ .
ـ المقطم ٤٩٧٢ ١٤ اغسطس ١٩٠٥ .
ـ العصر الجديد ١، ٢، ٣ ٩، ١٦، ٢٣ يوليو ١٩٠٥ .

وحاول هذا الاتجاه الاحتلالي التدليل على صدق رؤيته بتبيان أن هناك لجاناً عربية منتشرة في بلاد الشام والعراق لإحداث الانقلاب السياسي المرجو وبث الروح العربية في نفوس الجند العربي داخل الجيوش العثمانية، وأن تلك الجهود آتت أكلها حيث أبت الجنود السورية والعراقية أن تقاتل إخوانها الثوار اليمنيين، بل انضمت جحافل منهم إليهم بعد أن جاهروا بالعصيان للترك، مما جعل السلطنة تبعد الجند العرب من الجيوش الساعية للقضاء على الثورة اليمنية وتستعين "برديف الأناضول" بعد أن فقدت الثقة في الجند العربي الذي تعاطف مع بني جلدته من اليمنيين بحكم روابط الجنس واللغة والدين(١).

والاستقراء التاريخي يدلنا على أن الصحفيين المسيحيين في مصر قد عضدوا فكرة القومية العربية، بل لقد عدت تلك الفكرة من نبت أفكارهم وحصاداً لجهودهم لنشرها والترويج لها وللحقوق العربية والتاريخ العربي؛ حيث كانت محط آمالهم للفكاك من فكرتي الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية، والتي سعوا لضربهما بشتى السبل في محاولة لاجتذاب المصريين المسلمين الذين كانوا يعضدون الفكرتين السابقتين، دون أن يحفلوا كثيراً بفكرة القومية العربية، وذلك راجع إلى الاستراتيجية التي وضعتها الحركة الوطنية المصرية آنذاك نصب عينيها في الاعتماد على الدولة العثمانية لتحقيق الأماني الوطنية في إجلاء الإنجليز. ومن هذا المنطلق كانت مواقف الكتاب

---

١ - المقطم: ٤٨٩٢، ٤٨٩٩، ٤٩٠٦ ٣، ١١، ١٩ مايو ١٩٠٥ .
- العصر الجديد عدد ٤٦ ٢ يوليو ١٩٠٥ .
- العصر الجديد عدد ٧ ٢٧ اغسطس ١٩٠٥ .

المسيحيين والأقباط في مصر حول الفكرة القومية والسعى لفصل الدين عن الدولة، وإحداث طلاق بائن بين تلك الفكرة والدولة الدينية، على اعتبار أن الوحدة الاجتماعية لا الطائفية هى أساس الوطنية، وبالتالي حصر الدين في أماكن العبادة فحسب، ومن هنا كان البون شاسعاً بين مواقف المسيحيين والأقباط في مصر من ناحية، والمسلمين المصريين من ناحية أخرى نتيجة لتباين نشأتهم وفكرهم الديني والشعور بالانجذاب أو الابتعاد عن المجتمع العثماني، وسعى الأولون لتحقيق المساواة والمشاركة السياسية لهم في الدولة بغض النظر عن الدين والمذهب[1]. ومن هنا كان سعى الصحف الاحتلالية إلى استغلال ثورات اليمنيين في أوائل القرن العشرين وصبغها بالطابع العربي الساعي للفكاك من السطوة والسيطرة التركية. وإذا كانت الصحف الاحتلالية قد اتفقت فيما بينها على تأييد الثورة اليمنية والترويج لها نكاية في السلطنة العثمانية، فإنها قد اختلفت فيما بينها حول ما تردد عن دور الدول الأوربية في تشجيع الثورة وزعمائها وإمدادهم بالأموال والذخائر وغير ذلك. فنجد بعضها يؤكد على استبعاد دور الدول الأوربية وخاصة إنجلترا في التحريض على الثورة وتشجيعها، وأن اليمنيين لم يثوروا إلا نتيجة للفساد والعسف والاستبداد التركي ولا دخل لإنجلترا أو غيرها في إشعال هذه الثورات، رغم إقرارها بأن هذه الثورات تخدم المصالح السياسية الإنجليزية في هذه المنطقة[2] بيد أن البعض الآخر قد أوضح أن الإنجليز يقفون

---

١ ـ للمزيد انظر:
عمر محمد بكر : المرجع السابق ص ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ .
٢ ـ الوطن ٣٠٨٤ ٢٨ يناير ١٩٠٥ .
الوطن: ٣١٠٨ ٢ مارس ١٩٠٥ .
المقطم ٣٩٠٩، ٤٩٤٣ ٢٣ مايو، ١ يوليو ١٩٠٥ .

بالمرصاد للدولة العثمانية ويزودون القبائل اليمنية بالأموال والعتاد لإنقاذهم من أحوالهم السيئة. ومما لا شك فيه أن تعضيد الإنجليز للثورة اليمنية وزعمائها لم يكن بحاجة لتأويل من أجل زعزعة نفوذ السلطنة العثمانية في هذه المنطقة الحيوية والمجاورة للنفوذ الإنجليزي بعدن.

وإذا انتقلنا إلى الصحف ذات الاتجاه العثماني نجد أنها عالجت ثورات اليمنيين من منظور أنها تمثل تمرداً وعصيانا وخروجاً على الحكم الشرعى للبلاد، وأن السلطنة تسعى دوما لنشر راية العدالة في أرجائها ، وتتوخى اختيار أحسن الولاة وأطيبهم سيرة وخلقاً، والضرائب تجبى في أوقاتها، والإدارة في غاية الانتظام، والرقى واضح على البلاد(١). ومن هنا كان من الطبيعى وصف القائمين بالثورة بالعصاة وأنهم من ذوى الأخلاق الجامدة والطمع ، وأن هدفهم من تمردهم هو أعمال السلب والنهب في المدن والقرى اليمنية(٢). بل كانت صفة هؤلاء الثائرين في عيون تلك الصحف العثمانية المصرية "عصاة اليمن"، وصفة القبائل الثائرة هى القبائل العاصية.

وكان يطلق عليهم في أحيان أخرى الأشقياء والبغاة واللصوص وقطاع الطرق، والذين رأى هذا الاتجاه الصحفى العثماني ضرورة قتالهم تنفيذاً لأوامر الشرع وإقامة حد الحرابة عليهم، باعتبارهم مارقون عن طاعة الخليفة، عصاة لدولة الخلافة وأنهم بقتلهم الآمنين وسلبهم أموالهم فإنهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، ولذا وجب تنفيذ أوامر الله باعتبارهم عصاة وقطاع طرق. وشرعت تلك الصحف في الاستدلال بآيات القرآن الكريم

---

١ ـ الظاهر ٥٢٦ ١٣ اغسطس ١٩٠٥ .

٢ ـ الظاهر: ٤٠٩، ٤٥٦، ٥٠٦ ٢٦ مارس، ٢٣ مايو، ٢٠ يوليو ١٩٠٥ .

بشأن قطاع الطرق والبغاة، وأنه يجب قطع دابرهم لراحة البلاد والعباد من بغيهم وشرهم(١). بل لقد نظر هذا الاتجاه الصحفي للثائرين من غير السنة باعتبارهم من أهل البدع والزيغ والضلال، وأن أهل السنة في اليمن لم يخرجوا عن طاعة الخليفة العثماني لإدراكهم أن في ذلك خروجاً عن طاعة الله ورسوله(٢).

ولعل محاولة هذا الاتجاه الصحفي قصر الثورة على غير أهل السنة باليمن خير دلالة لهذا الاتجاه العثماني في محاولة التموية علي المصريين وغالبيتهم سُنِّيَّةِ المذهب، أن الثورة في اليمن يتزعمها الشيعة ضد دولة الخلافة لأسباب عقائدية وليست سياسية، في محاولة لاستجلاب التأييد لدولة الخلافة في سعيها للقضاء على هؤلاء الروافض من ذوى العقائد الباطلة.

من هذا المنطلق كان من الطبيعي أن تحفل صحف هذا الاتجاه بالتأييد المطلق للسلطنة وجيوشها، وتشيد بانتصار جندها على هؤلاء البغاة لتشتيت شملهم والقضاء عليهم(٣). كما سعى هذا الاتجاه الصحفي العثماني في مصر لإبراز دور الإنجليز في نشر الفتن باليمن وإمداد العصاة بالسلاح والمؤن، وسعى إنجلترا لإثارة الدسائس في بلاد العرب قاطبة لتنفيذ مآربها السياسية لزعزعة النفوذ العثماني الإسلامي بتلك الأرجاء وإبعاده حتى يتسنى لها الانفراد وبسط نفوذها عليها(٤). ومضت تلك الصحف ذات الميول العثمانية بمصر في توضيح مغبة هذه الدسائس الأجنبية على المسلمين

---

١ ـ الظاهر: ٤٤٨، ٤٩٧ ١١ مايو، ١ يوليو ١٩٠٥ .
٢ ـ الظاهر ٤٤٩ ١٢ مايو ١٩٠٥ .
٣ ـ الظاهر ٥٢٣، ٥٢٤. ٥٣٨ ٩. ،١٠، ٢٨ اغسطس ١٩٠٥ .
٤ ـ الظاهر ٤٢٣ ، ٥٢٦ ١١ ابريل ، ١٣ اغسطس ١٩٠٥ .

وأمرائهم، وأخذت تحضهم على ضرورة الإلتفاف حول دولة الخلافة ومناصرتها على اعتبار أن ذلك واجب ديني، أمر المسلمون به خاصة إزاء دسائس أعداء الإسلام من الإنجليز والفرنسيين وغيرهم(١). بل لقد وصف البعض موقف الأمراء العرب بالخيانة لأوطانهم نتيجة لمعاداتهم لدولة الخلافة(٢).

وإذا كان الاتجاه الاحتلالي قد نظر لثوار اليمن باعتبارهم دعاة حق، وأن ثورتهم تعكس طبيعة عرب اليمن، ورفضهم للذل والاشعباد العثماني، ونظر الاتجاه الصحفي العثماني في مصر لدعاة الثورة على أنهم بغاة وعصاة ومتمردون ويجب قتلهم لخروجهم على طاعة الله ورسوله وخليفة المسلمين، وأن ثورتهم نتيجة لرغبتهم في السلب والنهب، وأن اليد الأجنبية والدسائس الإنجليزية لعبت الدور الأكبر في تلك الثورات، اذا كان الأمر كذلك فقد وجد على الساحة الصحفية المصرية اتجاه معتدل لم يَمِلْ إلى هذا الفريق أو ذاك؛ حيث رفض التهويل من هذين الاتجاهين السابقين إزاء أحداث اليمن، ومال إلى أنها حوادث عادية اندلعت نتيجة لطبيعة اليمن وأهله، وأن القحط الذي يحدث بين فينة وأخرى بالبلاد هو سبب الثورات(٣) ... ورغم إقرار هذا الاتجاه المعتدل بأن اليمنيين قاموا بثورتهم نتيجة لفساد العديد من ولاة

---

١ - الجوائب المصرية ٥٦٦ ٦ ديسمبر ١٩٠٤ .
- الظاهر ٤٠٢ ، ٥٢٦، ٥٣٢ ، ١٨ مارس، ٣ أغسطس، ٢٠ اغسطس ١٩٠٥ .

٢ - اللواء ٢٢ يوليو ١٩٠٥ .
- كانت جريدة اللواء لسان حال الجناح الوطني الذي تزعمه مصطفى كامل وصدرت عام ١٩٠٠.

٣ - المنار عدد ١٥ ٢٨ يونية ١٨٩٨ ص ١١٨ .

اليمن، وأنهم لا يطلبون سوى حكام صالحين رحماء بهم، ونهم ينتقدون إرسال السلطنة لولاة قساة سلابين، وأن الثورات المندلعة ليست ضد السلطان والخليفة العثماني، ولا ترمى لخلع التبعية العثمانية عن البلاد(١). بيد أن هذا الاتجاه تحول بعد ذلك وأبدى انحيازه للدولة العثمانية مؤيداً ضرورة القضاء على الفتن، واصفا الثائرين اليمنيين بالأشقياء والعصاة، مظهراً انتصارات الجند العثماني باليمن وبسالته(٢)، على اعتبار أن هذه الانتصارات درءً للأخطار المحدقة بالبلاد نتيجة للدسائس الأجنبية، ودور إنجلترا في استمالة رؤساء وشيوخ القبائل المجاورة لعدن عن طريق الرشاوى والهدايا وغيرها، وخطورة ذلك على البلاد العربية والإسلامية مع وضوح الأطماع الانجليزية بها(٣).

وباستقراء مواقف هذا الاتجاه المعتدل من ثورات اليمن، وما ألم به من تغير إزاء زعماء الثورة، فإنه منه الأرجح أن انتصارات الجيوش العثمانية منذ أغسطس ١٩٠٥ ـ ١٣٢٣هـ ـ وتراجع فلول الثائرين بزعامة الإمام يحيى إلى مدينة صعدة ـ مركز حكمه ـ، وما بدأ من أن الثورة قد قضى عليها، ولو مؤقتا، قد أدى كل هذا إلى تغير موقف أطراف هذا الاتجاه الصحفى إلى جانب السلطنة حتى قارب هذا الموقف الاتجاه الصحفى العثماني في عدائه

---

١ ـ المؤيد ٤٦١٢، ٤٦١٦ ١٢ ، ١٧ يوليو ١٩٠٥ .
ـ المنار جـ ٨ ١٩ يونيو ١٩٠٥ صـ ٣٠٦ .
٢ ـ المؤيد ٤٦٥٤، ٤٦٥٧، ٤٦٨٤ ٣١ اغسطس، ٤ سبتمبر، ٥ اكتوبر ١٩٠٥ .
٣ ـ المنار جـ ٧ ٤ يونيو ١٩٠٥ ص ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧ .

ونفوره من الثائرين.

نخلص مما سبق عرضه إلى أن ثورات أهل اليمن والتي اندلعت منذ أواخر القرن التاسع عشر واستمرت خلال العقد الأول من القرن العشرين، كان شأنها شأن تمردات أهل الشام والعراق، وإن فاقتهما، نتيجة لطبيعة بلاد اليمن وأهله ونشاط الإمامة الزيدية وتزعمها لهذه الثورات.

وأن الفساد الذي عم الولايات العثمانية كان نتيجة لضعف الدولة وتكالب أعدائها عليها ، قد جعلها في مهب الريح، فشجع ذلك رعاياها الذين تعرضوا لحكمها المباشر ومساوئه العديدة على الثورة . على حين لم يحدث هذا في مصر ، باعتبارها ولاية متميزة عن غيرها، تمتعت بالاستقلال، إلى حد كبير، خاصة مع حكم محمد علي وخلفائه من بعده فلم يعان المصريون ما عاناه رعايا الدولة من فساد واستبداد، ولذا ظل شعورهم وانجذابهم نحوها، خاصة بعد حلول جيوش الاحتلال بالبلاد، والتطلع إلى هذه الدولة العثمانية علها تخلصهم من الاحتلال الأجنبي.

بيد أن سيطرة الشوام على الساحة الصحفية في مصر، ووقوف الاحتلال يجانب المسيحيين منهم بصفة خاصة، وشعور هؤلاء بالاقتلاع والاغتراب عن المجتمع العثماني الإسلامي، كل ذلك جعل معظم الصحف الشامية المسيحية تنحاز للاحتلال وتسعى لتشوية صورة الدولة العثمانية. وعندما فطنت السلطة العثمانية لذلك ، واصطنعت لنفسها العديد من الصحف بوسائل شتى، فإن ذلك أدى لتحول الساحة الصحفية في مصر إلى التحزب والتصارع. فكانت القضية اليمنية شأنها شأن القضية المراكشية وثورات البوير* في الجنوب

١ ـ اندلعت ثورة أهل البوير في الجنوب الإفريقي ضد الإنجليز عام ١٨٩٩م، وكانت محل اهتمام الصحافة في مصر، تأييداً للثوار أو دفاعاً عن الإنجليز.

الإفريقي ١٨٩٩م ـ ١٣١٧هـ ـ محل اهتمامات هذه الصحف، باعتبارها فرصة سانحة للنيل من السلطنة العثمانية او من الإنجليز. ومما يؤكد على ذلك أنه بعد الانقلاب الدستوري المصرى ١٩٠٨ ـ ١٣٢٦هـ ـ فإن الصحف في مصر اغفلت تقريبا أحداث اليمن، ولم تتناولها إلا على استحياء شديد. حتى معاهدة دعان ١٩١١م ـ ١٣٣٠هـ ـ لم تحظ باهتمامات الصحافة في مصر. ويرجع ذلك إلى أن نظام الحكم العثماني الجديد بعد ١٩٠٨م قبض يده عن الصحف الموالية له بمصر، والصحف ذات الاتجاه الاحتلالي عاشت نشوة ما حدث بالآستانة، فتغيرت رؤيتها للسلطنة ولم تعد على ذات العداء السابق، فكان إغفال ما يحدث في اليمن وسائر الولايات العثمانية الأخرى نتيجة طبيعية، واتجهت مقالات الصحف نحو مصر وتطوراتها السياسية. ولعل في هذا خير دلالة على أن تناول الصحف المصرية لثورات اليمن على النحوالذى سبق بيانه السابق تناولها، لم يكن اهتماما بتلك الولاية وأهلها وظروفها السياسية، ولكنه كان عداءً للسلطنة وكشف عوراتها، أو دفاعاً عنها من الجانب الآخر.

ملحق رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

من المنصور بالله إمام المؤمنين

إلى كافة المحبين والشيعة المودين المتمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله، وبالعترة الزكية أمان أهل الأرض من كل بلية وسفينة النجاة. وقرنان لن يفترقا إلى يوم القيامة، كلما أفل نجم طلع نجم هو للدين علامة ونحن في عصمة بالله لا تهدها الأهوال، وظهور حجة لا يخيفه قيل ولا قال. والباعث على هذا الكتاب العمومي، ما أوجبه الله علينا من التذكير والبيان حين عميت الأبصار، وظهرت على العرب مقدمات الذل والهوان واليأس عن الفرج حيث ضمن له في كل ساعة شأن، ما علموا أن الله أجرى أفعاله من البلوى كفعل أهل الاختبار، ليتميز من عبيده أهل الصدق والاختيار، فقال تعالى: [ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم"١". وقال تعالى: [أم حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين]."٢"

وقد فتن أهل القطر اليماني بهذه الطائفة الخبيثة من العجم، فردوا كتاب الله وسنة رسول الله ، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، واستحلوا المحرمات القطعية من شرب الخمور وارتكاب كل فجور. ومع ذلك العرب يعينونهم بأموالهم ومحاسن أرزاقهم ويسعون إليهم بالإضرار بإخوانهم .

فما بالكم يا أشباه الرجال ما تدفعون عن دينكم ودنياكم وإسلامكم وأولادكم، وتتعاقدون من بلاد إلى بلاد، ومن واد إلى واد حتى تلحقوهم بقوم عاد كما فعل أسلافكم الأمجاد، وقد شجعت قلوب العرب في أكثر جهات اليمن والله معكم ونحن بعد الله في ظهوركم.

١ ـ سورة محمد، آية ٣١ .

٢ ـ سورة العنكبوت، آية ٢، ٣ .

ملحق رقم (٢)

بنود صلح معاهدة دعان ١٩١١

١ - ينتدب الإمام حكاماً للمذهب الزيدي، وتبلغ الولاية بذلك، وهذه تخبر الآستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب.

٢ - تشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التي يعرضها الإمام .

٣ - يكون مركز هذه المحكمة صنعاء ، وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق عليهم الحكومة.

٤ - يرسل الحكم بالقصاص إلى الآستانة للتصديق عليه من المشيخة وصدور الإرادة السنية به، وذلك بعد أن يسعى الحاكم في التراضي ولا يفلح. ولا ينفذ الحكم إلا بعد التصديق وصدور الإرادة السنية بشرط أن لا يتجاوز الأربعة أشهر.

٥ - إذا أساء أحد المأمورين، الحكام، أو العمال الاستعمال في الوظيفة يحق للإمام أن يبين ذلك للولاية.

٦ - يحق للحكومة أن تعين حاكما للشرع من غير اليمنيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي.

٧ - تشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى المذاهب المختلطة.

٨ - تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التى تتجول في القرى للفصل في الدعاوى الشرعية، وذلك دفعاً للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والإياب إلى مركز الحكومة.

٩ - تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام.

١٠ ـ الحكومة تنصب الحكام للشافعية والحنفية ماعدا الجبال .

١١ ـ صدور عفو عن الجرائم السياسية والتكاليف والضرائب الأميرية التي سلفت.

١٢ ـ عدم جباية التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالي "أرحب وخولان" لفقرهم وخراب بلدهم على شرط أن يحافظوا على صدقاتهم وارتباطهم التام بالحكومة.

١٣ ـ تؤخذ التكاليف الأميرية حسب الشرع.

١٤ ـ إذا حصلت الشكوى من جباية الأموال الأميرية لحكام الشرع أو الحكومة فعلى هذه أن تتحرك مع الحكام في التحقيق، وينفذ الحكم الذي ينفذ به عليهم.

١٥ ـ يحق للزيدية تقديم الهدايا للإمام إما تواً أى مباشرة، وإما بواسطة مشايخ الدولة والحكام.

١٦ ـ على الإمام أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة.

١٧ ـ عدم جباية الأموال الأميرية من جبل الشرق في "أنس" لمدة عشر سنوات.

١٨ ـ يخلى الإمام سبيل الرهائن الموجودين عنده من أهالى صنعاء وما جاورها ومن حراز وعمران.

١٩ ـ يمكن لمأمورى الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء اليمن بشرط أن لا يخلوا بالسكينة والأمن.

٢٠ ـ يجب على الفريقين أن لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط.

٢١ ـ مدة الاتفاق عشر سنوات.

"هذه هي الشروط التي عقدت بين الإمام المتوكل على الله رب العالمين، يحيى بن محمد حميد الدين وبين القائد عزة باشا، على إصلاح أمور "صنعاء، وعمران، وحجة، وكوكبان، وحجور، وأنس، وبريم، ورادع، وحراز، وتعز" التي يقطنها الزيود الذين هم تحت إدارة الدولة".

مراجع البحث

١ـ الدوريات:

الأهرام: ١٩٠٩ . - الجوائب المصرية: ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥.

الظاهر: ١٩٠٥ - العصر الجديد : ١٩٠٥

اللواء: ١٩٠٥ - المشير: ١٨٩٨

المقتطف : ١٩٣٧ - المقطم: ١٨٩٦ ـ ١٩١٠

المنار : ١٨٩٨ ـ ١٩١٠ - المؤيد : ١٩٠٥ ـ ١٩١١

الوطن : ١٩٠٥

٢ـ الرسائل الجامعية:

* عمر محمد بكر (د):

ـ موقف الشوام من قضايا مصر السياسية منذ عصر إسماعيل وحتى الحرب العالمية الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس، ١٩٨٦م.

٣ـ المراجع العربية:

* أبو نتى، سلفاتور :

ـ مملكة الإمام يحيى، ترجمة طه فوزى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٧م.

* أحمد حسين شرف الدين:

ـ اليمن عبر التاريخ . الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٣.

* أحمد فخرى (د):

ـ اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ١٩٥٧م

* أمين سعيد:

ـ اليمن، تاريخه السياسي، القاهرة ١٩٥٩م.

* أمين الريحاني:
- ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية، الجزء الأول، بيروت ١٩٢٤.
* الثور، عبد الله بن أحمد:
- مختصر من تاريخ اليمن، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
* الجرافي، عبد الله بن عبد الكريم:
- المقتطف من تاريخ اليمن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١م.
* جواد على:
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول، القاهرة ، د. ت .
* أبو زهرة، الشيخ محمد:
- الإمام زيد: حياته وعصره، آراؤه وفقهه، القاهرة، ١٩٥٩م.
* السيد مصطفى سالم (د):
- الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥)، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ١٩٧٤م.
- تكوين اليمن الحديث ، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ١٩٦٣م.
* الشهرستاني، أبو الفتح بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر:
- الملل والنحل، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٨٩٩م.
* العرشى، حسين بن أحمد:
- بلوغ المرام في شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك أو إمام، القاهرة، ١٩٣٩م.
* فاروق عثمان أباظة (د):
- عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م .
* محمد حسن:

ـ قلب اليمن، الجزء الأول، مطبعة المعارف، ببغداد ١٩٤٧م.
* محمود صالح منسى (د):
تاريخ الشرق العربي الحديث، دار الوزان للطباعة والنشر بالقاهرة، د. ت.
* محمد عبد الله ماضي:
ـ دولة اليمن الزيدية، نشأتها، تطورها، علاقاتها، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، مايو ١٩٦٣م.
* محمد يحيى الحداد:
ـ تاريخ اليمن السياسي، دار الهنا للطباعة بالقاهرة، ١٩٧٦م .
* محمد محمد سطيحة:
ـ اليمن شماله وجنوبه ، القاهرة، ١٩٧٢م.
* اليماني، عبد الواسع بن يحيى الواسعي:
ـ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

٤ـ المراجع الأجنبية:

1- Bremond, E: Yemen et Saudia, Paris, 1937.
2- Bury, G.W: Arabia Infleix or Turks in Yemen, Londan 1915 .
3- Harris, W.B: A Journey Through the Yemen, and some general remarks upon that Country, London 1893.
4- Helfitz H: The Yemen, A Secret Journey, London 1958.
5- Jacole, H. F: Kings of Arabia, London, 1923.